

العباسيون ومواجهة المقاومة الأموية

للدكتور

محمد «سالم بن شديد العوفي

الأستاذ المشارك بكلية العلوم الاجتماعية بالرياض

ومدير المعهد العالي للدعوة الإسلامية

بالمدينة المنورة

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

مقدمة

شهد عام ١٣٢هـ (٧٤٩م) ، وبالتحديد مساء يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول ، في مدينة الكوفة ، مولد دولة جديدة ، هي الدولة العباسية ، وأقول دولة أخرى ، هي الدولة الأموية ، وكان عبدالله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس (أبو العباس السفاح) أول خليفة عباسي ، بينما كان مروان بن محمد آخر خليفة أموي ، وفي الوقت الذي بُوع فيه أبو العباس السفاح بالخلافة ، كان مروان بن محمد لا يزال على قيد الحياة ، يُعبر مع بقية أفراد البيت الأموي عن نبضٍ ضعيف للدولة الأموية ، وقد استمر هذا النبض . حتى بعد مقتله في قرية (بُوصير) من صعيد مصر ، في يوم الأحد لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ١٣٢هـ .

لم تكن مهمة العباسيين سهلة ، وهم يواجهون ذلك النبض ، الذي كان يُشكل عامل خطر يهدد دولتهم ، قابل للنشاط أمام أي ضعف ، أو تهاون ، كما أن الأمويين لم يستسلموا بسهولة ، ولم يتركوا العباسيين يتمتعون بالسير في أرض مُهددة للوصول إلى غايتهم دون مشقة بل قاوموا حتى آخر رمقٍ في عروقهم ، وتمكن أحدهم ، وهو عبدالرحمن بن معاوية (الداخل) من الاجتياز إلى الأندلس ، معلنا استمرار تلك الدولة في ذلك الطرف القَصى من البلاد الإسلامية التي بقيت شذًى وغصةً تجرّع أَلَمها العباسيون .

إنها أزمة النهاية والبداية ، تلك التي يحاول هذا البحث تسليط الضوء عليها ، وهي أزمة يكتنفها الغموض ، ويسود روايات الاضطراب ، تشابه شخصُها ، وتتَعَدُّ أدوارها ، فتضيع الحقيقة في متاهات الميول ، والاتجاهات ، فلا يكاد الباحث يسلك طريقا يطمع أنه سيوصله إلى ما يشده ، حتى يعصف به عاصفُ الاتجاهات ، فتضيع عليه معالم الطريق ، ويبقى في دوامة وغموض ؛ فعدا عن

الأمويين ، الذين كان يعيش معهم العباسيون تلك الأزمة ، هناك تيار آخر لا يقل أهمية وخطراً عن بني أمية ، ألا وهو التيار العلوي ، الذي تميز بكثرة المؤيدين والأتباع ، بمن ناصر وتحمس للدعوة للرضا من آل البيت ، أملاً أن يكون هذا الرضا أحد أفراد البيت العلوي ، فكان هؤلاء دورهم في تشويه صورة التاريخ العباسي ، فاستغلوا تلك الأزمة ، وما قام به العباسيون من قمع لمقاومة وثورات بني أمية ، فضخموا الأحداث ، ووظفوها ، بما يخدم موقفهم ويستجيب مع مطالبهم .

من خلال تتبع الروايات التاريخية من مصادرها المختلفة ، ومن خلال عملية نقد ومراجعة تلك الروايات والتعرف على ما يوجهها من ميول وتيارات ، تحاول هذه الدراسة أن تتلمس طريقاً واضحاً بين ذلك الرُّكام من الاضطراب والتداخل حول قضية المقاومة ، والمواجهة بين الأمويين والعباسيين ، والتي تعتبر أزمة من الأزمات التي واجهها العباسيون ، واستطاعوا اجتيازها بعد عناء ومشقة . فكانت مرحلة المقاومة المبكرة ، أي قبل إعلان قيام الدولة العباسية ، حيث قاد هذه المرحلة من الجناح الأموي أبرز قادتهم ، يزيد بن عمر بن هبيرة ، الذي واجهه أبرز قواد العباسيين من العرب ، قحطبة بن شبيب الطائي ، ثم مرحلة إعلان قيام الدولة العباسية ، ومقاومة الخليفة الأموي مروان بن محمد ، حيث واجهه أبرز رجالات البيت العباسي ، عبدالله بن علي ، وصالح بن علي ، ثم الثورات التي قام بها بعض القادة المخلصين لبني أمية في الجزيرة ، وبلاد الشام ، والموصل وغيرها .

وأخيراً مرحلة التصفية وانهيار المقاومة التي تعتبر من أصعب مراحل الأزمة . وأكثرها تعقيداً ، مما أهّلها لأن تحتل قسماً كبيراً من مساحة هذه الدراسة .

مرحلة المقاومة المبكرة :

في الكوفة ، وفي ليلة الجمعة لثلاث عشرة بقيت من شهر ربيع الأول عام (١٣٢هـ / ٧٤٩م)^(١) ، في بني أود ، في دار الوليد بن سعد مولى بني هاشم أعلن أبو العباس السفاح عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، خليفة على المسلمين ، وفي يوم الجمعة ، وبعد أن أمّ الخليفة المسلمين في مسجد دار الإمارة . وبعد الانتهاء من خطبة الجمعة ، والصلاة ، صعد المنبر ، فحمد الله تعالى وأثنى عليه ، ثم بين فضل بني العباس ، وقرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : « . . وزعمت السبئية الضلال ، أن غيرنا أحق بالرياسة ، والسياسة ، والخلافة منا ، فشاهت وجوههم بـم ، ولم أيها الناس . . إلى أن قال : ثم وثب بنو حرب ، ومروان فابتزوها ، وتداولوها بينهم ، فجاروا فيها ، واستأثروا بها ، وظلموا أهلها ، فأملى الله لهم حيناً حتى آسفوه ، فلما آسفوه انتقم منهم بأيدينا ، وردّ علينا حقنا ، وتدارك بنا أمتنا ، وولي نصرنا ، والقيام بأمرنا ليمنّ بنا على الذين استضعفوا في الأرض ، وختم بنا كما افتتح بنا ، وأني لأرجو ألا يأتاكم الجور ، من حيث أتاكم الخير ، ولا الفساد ، من حيث جاءكم الصلاح » ثم أثنى على أهل الكوفة ، وزاد في عطائهم مائة درهم^(٢) .

أوجز أبو العباس الخطبة^(٣) ، فقام عمه داود بن علي ، وصعد المنبر ، ووقف دونه ، فشكر الله على عودة القوس إلى بارئها ، والسهم إلى منزعه ، وذكر أن خروجهم ، ليس لجمع الأموال ، أو حفر الأنهار ، أو بناء القصور ، وإنما طلباً لحق اغتصب منهم ، وثأراً لبني عمهم من العلويين ، وأخذاً لحقهم من ظلم بني أمية لهم ، ومما قال : « لقد كانت أموركم تُرمضنا ، ونحن على فرشنا ، ويشد علينا سوء سيرة بني أمية فيكم ، وخرقهم بكم ، واستدلالهم لكم ، واستثثارهم ، بفيئكم ،

(١) حسب رواية ابن خياط في «تاريخه» (٤٠١)، وجاء في تاريخ الرسل والملوك للطبري، (١٧/٤٢٠) أنه ببيع بالخلافة ليلة الجمعة لثلاث عشرة مضت من شهر ربيع الآخر ، وقيل في جمادي الأول .

(٢) الطبري : تاريخ الرسل والملوك : ٧/٤٥٢ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ .

(٣) بسبب مرضه ، المصدر نفسه ، ٧/٤٢٦ .

وصدقاتكم ، ومغانمكم عليكم ، لكم ذمة الله تبارك وتعالى ، وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذمة العباس رحمه الله ، أن نحكم فيكم بما أنزل الله ، ونعمل فيكم بكتاب الله ، ونسير في العامة منكم ، والخاصة بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم صَبَّ جَاَمَ غضبه على بني أمية مُعَدِّدًا مساوئهم ، وظلمهم ، وختم خطبته بمدح الخراسانيين ، وطلب منهم ، السمع والطاعة لبني العباس^(٤) .

وفي الحجاز ، قام دواد بن علي خطيباً في مكة المكرمة ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال : «والله ما قمنا إلا لإحياء الكتاب والسنة ، والعمل بالحق والعدل ، وَرَبِّ هذه البُنْيَةِ ، (ووضع يده على الكعبة) لانهيج منكم أحداً إلا أن يُحْدِثَ بعد يومه هذا حَدَثًا ، أمن الأسود ، والأبيض ممن لم يأت بعد هذا اليوم سوءاً ، ولم يحاول لأمرنا نقضاً ، ولا علينا بغياً ، ما بال الوحوش ، والطير تأمن في حرم الله ، ويخاف من أَمْنَاهُ على سالف ما كان منه»^(٥) .

ذكر الذهبي ، أن عبد الصمد بن علي عم المنصور قال له ذات يوم : «يا أمير المؤمنين ، لقد هَجَمْتُ بالعقوبة ، حتى كأنك لم تسمع بالعفو ، قال : لأن بني أمية لم تَبَلْ رِمْمُهُمْ ، وآل علي لم تَعْمِدْ سيوفُهُمْ ، ونحن بين قوم قد رأونا أمس سُوءَةً ، ولا تتمهد هيبتنا في صدورهم إلا بنسيان العفو»^(٦) .

تلك هي أبرز معالم السياسة العباسية ، على الأقل في فترة التأسيس ، فهم قد استعادوا حقاً يعتقدون أنه سلب منهم ، كابدوا في سبيله المشاق ، والصعاب ، بذلوا أنفسهم ، وأموالهم ، فلا بد من المحافظة على هذا الحق ، وعدم السماح بأن تُنَمَسَ تلك المكتسبات ، مهما كلف ذلك من تضحيات ، ولا بد من أجل زرع هيبتهم ، وتأكيد مكانتهم في نفوس أعدائهم الطامعين فيهم من استخدام العنف والقسوة ، وهم أيضاً على استعداد للمزاوجة بين هذا الأسلوب وأسلوب المهادنة ، والموادعة ، إذا ما لمسوا في الطرف الآخر القبول ، والاستسلام ، وعدم إثارة الفتن والمشكلات .

(٤) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ٤٢٦/٧-٤٢٧ .

(٥) البلاذري : أنساب الأشراف ، ٨٧/٣ .

(٦) سير اعلام النبلاء ، ٨٥/٧ .

وهنا يبرز سؤال ، هل نجح العباسيون في تطبيق هذه السياسة ، وإلى أي مدى مارسوا تلك الأساليب ، مع من بقي من الأمويين الذين لازالوا يقاومون في بلاد الشام بصفة خاصة ، وبعض الأقاليم الأخرى ، مثل : واسط ، والموصل وقنسرين ، بزعامة آخر خلفائهم مروان بن محمد ، الذي وقف إلى جانبه بعض القواد البارزين ممن لازال على وفائه ، وإخلاصه لبني أمية أمثال : يزيد بن عمر بن هبيرة ، ومعن ابن زائدة الشيباني ، ومحمد بن نباته بن حنظلة ، وداود بن يزيد بن عمر بن هبيرة ، ومالك بن أدهم الباهلي ، والمصعب بن صَحْصَح الأسدي ، وعطيف السلمي .

تختلف المصادر التاريخية ، حول تقدير درجة نجاح العباسيين في ذلك ، ويكتنف رواياتها الغموض ، والتداخل ، وربما وجد الباحث صعوبة في الجمع بينها ، والخروج برأي واضح ودقيق ، وتبرز هذه الظاهرة بوضوح في موقف العباسيين ممن بقي ، من بني أمية في دمشق ، وفلسطين ، والحجاز ، والبصرة ، والأنبار ، ولكي تكتمل الصورة ، وتتضح معالمها نبدأ بموقف مروان بن محمد ، الذي أوكل أمر القضاء على الفتن التي أخذت تندفق كالألواح العاتية من خراسان ، وما ولاها من أقاليم ، إلى قائده يزيد بن عمر بن هبيرة ، إلا أنَّ الأحداث كانت من القوة والتتابع ، ما أعجز ابن هبيرة عن التصدي لها ، فضعفت قواه أمام ذلك الطوفان الجارف ، الذي قاده أحد أبرز دعاة بني العباس ونقبائهم ، (قحطبة بن شبيب الطائي) ، عندما أخذ يزحف من جرجان ، مكتسحا دفاعات ابن هبيرة ، الواحدة تلو الأخرى ، فهزم بالقرب من (جَابَلُق) ، في إقليم إصبهان ، جيش ابن هبيرة بزعامة عامر بن ضُبارة ، الذي لم يُجِدْه نفعا وقوف قواد بارزين إلى جانبه ، أمثال : داود بن يزيد بن عمر بن هبيرة ، ومالك بن أدهم الباهلي ، والمصعب بن صحصح الأسدي ، وعطيف السلمي ، وقد وقعت تلك الهزيمة يوم السبت لسبع بقين من رجب سنة (١٣١هـ / ٧٤٨م)^(٧) ، كما هُزمت دفاعات ابن هبيرة أيضا في نهاوند وهي المكونة من فلول المنهزمين ، من جيش عامر ابن ضُبارة ، إضافة إلى عشرة آلاف مقاتل قيسي ، بقيادة حَوْثرة بن سهيل الباهلي ، بعد حصار دام ثلاثة أشهر^(٨)

(٧) الأزدي : تاريخ الموصل ، ١١٦ .

(٨) وقيل أربعة أشهر .

شعبان ، ورمضان ، وشوال ، وقف الحسن إلى جانب والده قحطبة بن شبيب بكل قوة في هذه المعركة التي انتهت بالاستيلاء على نهاوند في شوال سنة ١٣١هـ^(٩) .

حرص العباسيون في هذه المرحلة على غرس هيبتهم في نفوس الناس ، وإرهاب أعدائهم بني أمية ، فقام القائد العباسي ، قحطبة بن شبيب الطائي بقتل بني نصر ابن سيار ، وأشياع الأمويين ، في خراسان كما ذكر ذلك الأزدي ، صاحب تاريخ الموصل^(١٠) .

بعد الهزائم ، التي مُنيت بها جيوش ابن هبيرة ، ودفاعاته ، وبعد أن أخذ قحطبة ابن شبيب الطائي أنفاس الأمويين في خراسان ، وفي آخر ذي القعدة من سنة إحدى وثلاثين ومائة تقابل الجيشان الرئيسيان ، ابن هبيرة ، في جَلُولاء ، وقحطبة بن شبيب الطائي في خانقين ولايفصل بينهما سوى مسافة أربعة ، أو خمسة فراسخ^(١١) ، وكان يقف إلى جانب قحطبة بن شبيب الطائي في هذه المواجهة قواد بارزون أمثال : ابنه حميد بن قحطبة ، وابنه الحسن بن قحطبة ، والقائد خازم بن خزيمة ، إضافة إلى أبي عون عبد الملك بن يزيد العتكي الأزدي ، الذي وجهه قحطبة على رأس ثلاثين ألف مقاتل إلى عثمان بن سفيان ، صاحب مقدمة عبد الله بن مروان بن محمد ، فنجح أبوعون في مهمته ، وهزم عثمان بن سفيان^(١٢) ، فكانت تلك الهزيمة ناقوس خطر أقض مضجع الخليفة الأموي مروان بن محمد ، حيث كان يرقب الأحداث باهتمام وقلق ، من مدينة حرّان ، فأقبل بجيوشه ، من الشام ، والجزيرة ، والموصل ، وصار معه بنو أمية حتى انتهوا إلى مدينة الموصل^(١٣) ، ليكون على مقربة ، من قائده ابن هبيرة يشجعه ويشد من أزره .

كان هدف قحطبة بن شبيب الطائي دخول مدينة الكوفة ، مركز الدعوة العباسية ، ورغم قتله في ظروف غامضة ، قبل دخوله الكوفة ، إلا أن ابن هبيرة فشل

(٩) الأزدي : تاريخ الموصل ، ١١٦ ، وابن الأثير : الكامل ، ٣٩٩/٥ - ٤٠٠ .

(١٠) ص ١١٧ .

(١١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ٤١٠/٧ ، ٤١٢ والأزدي : المصدر السابق ١١٧ .

(١٢) الطبري : المصدر السابق ، ٤١٢/٧ ، ٤١٤ ، والأزدي : المصدر السابق ١١٧ .

(١٣) المصدر نفسه ، ١١٧ .

في الحيلولة دون وصول الجيش العباسي ، الذي تزعمه الحسن بن قحطبة ، بعد مقتل والده إلى مدينة الكوفة^(١٤) ، حيث دخلها يوم عاشوراء من سنة ١٣٢ هـ ، وكان محمد ابن خالد بن عبدالله القسري ، قد رفع الأعلام السود فيها قُبيل مقدمة^(١٥) .

هزيمة مروان بن محمد وقته :

نزل مروان بن محمد ، على زاب الموصل ، وكان ذلك قبل إعلان أبي العباس السفاح خليفة ، فوجه له وزير آل محمد ، أبو سلمة الخلال ، القائد أباغون عبد الملك بن يزيد العتكي الأزدي ، وكانت الأحداث في هذه الفترة متتابعة وسريعة ، فأعلنت خلافة أبي العباس ، وكان أول عمل قام به ، هو مواجهة مروان بن محمد ، ومن معه من بني أمية ، وأشياعهم ، لأن مركزه مُهَدَّد مادام فيه ، وفي بقية بني أمية ، وأشياعهم عروق تنبض بالحياة ، فرمى مروان بن محمد بعمه عبد الله بن علي السفاح ، الذي قال عنه الذهبي ، في سير أعلام النبلاء^(١٦) «من رجال العلم ، ودعاة قریش ، كان بطلا شجاعا مهيبا جَبَّارا ، جسورا سَفَاكا للدماء ، به قامت الدولة العباسية» .

تعتبر هذه الفترة بداية انعطاف في سياسة الدولة العباسية تجاه بني أمية ، وأشياعهم ، فقبل إعلان قيام الدولة العباسية ، كانت تعتمد في مواجهة الأمويين على بعض القواد البارزين ، أمثال أبي مسلم الخراساني الذي نجح في تنفيذ مهمته ، التي كُلف بها في خراسان ، والقائد العربي قحطبة بن شبيب الطائي ، وابنيه الحسن ، وحמיד ، الذين انطلقوا من خراسان في اتجاه إقليم العراق ، فلم يظهر من العباسيين قادة يباشرون بأنفسهم خوض معارك غير مأمونة العواقب بعد ، إضافة إلى طابع السرية ، الذي كان قائما حول شخصية من يلي الخلافة ، هل هو من البيت العباسي ، أم من البيت العلوي ، ولكن بعد أن خضع إقليم خراسان ، وأجزاء من إقليم العراق ، وبعد أن تكشفت أمور الدعوة ، وأعلن عن شخصية الخليفة ، أراد

(١٤) تفصيل الخبر ، في تاريخ الرسل والملوك ، ٤١٤/٧-٤١٦ .

(١٥) الأزدي : تاريخ الموصل ، ١١٩ الطبري : تاريخ الرسل والملوك ٤١٧/٧ .

(١٦) ١٦١/٦ .

العباسيون مواجهة المقاومة الأموية بأنفسهم ، حفاظا على تلك المكتسبات ، التي اشترك إلى جانب الأمويين في منازعتهم عليها بنو عمهم ، من العلويين ، الذين التف حولهم عدد كثير من المؤيدين^(١٧) وإلى جانب هذا ، وذاك أدرك أبو العباس أهمية معركة الزّاب ، وحنكة مروان بن محمد ، وتمرسه على الحرب ، فأراد أن يختار له أحد أفراد البيت العباسي ممن وُصفوا أيضا بالشدة والبطش .

ليلتين خلطنا من جمادي الآخرة سنة (١٣٢هـ) ، وصل عبد الله بن علي إلى (تل كُشّاف) على شط الزّاب ، فتخلّى له أبو عون عن القيادة العامة^(١٨) ، وفي الوقت الذي تقلل فيه بعض المصادر التاريخية من عدد جيش عبد الله بن علي ، حيث ذكرت أنه لا يتجاوز عشرين ألفا ، نجدها في المقابل تبالغ في عدد جيش مروان بن محمد ، حيث رفعتة إلى مائة وعشرين ألف مقاتل ، وربما أكثر^(١٩) .

لم تكن مهمة عبد الله بن علي سهلة أمام خليفة مستميت ، مجرب محنك ، مثل مروان بن محمد ، ومن معه من أفراد البيت الأموي ، أو أشياعهم ، الذين ربطوا مصيرهم به ، فقد كانت مقاومة الأمويين عنيفة ، مُني العباسيون أمامها بأكثر من هزيمة ، حيث استطاع القائد الأموي الوليد بن معاوية بن عبد الملك بن مروان^(٢٠) ، أن يُحدث في الخراسانيين مذبحه في قرية من قرى الحَرّبية ، كما استطاع أن يأسر منهم عددا كبيرا ، وكان من ضمن الأسرى أحد القواد العباسيين البارزين ، وهو المخارق ابن العُقاب الطائي) ، وكان ذلك يوم السبت ، لإحدى عشرة ليلة خلت من جمادي الآخرة سنة (١٣٢هـ)^(٢١) .

أثناء المصاف بين عبد الله بن علي ، ومروان ابن محمد ، استطاعت ميسرة مروان

(١٧) ولعل الكثير ممن انضم الى الدعوة للرضا من آل البيت ، كان يتطلع أن تصبح الخلافة في أفراد البيت العلوي .

(١٨) الأزدي : تاريخ الموصل : ١٢٥ .

(١٩) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ٤٣٧/٧ ، والأزدي : المصدر السابق ، ١٢٦ .

(٢٠) ذكرت بعض المصادر ، أن اسمه (الوليد بن معاوية بن مروان) ، الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ٤٣٨/٧ ، إلا أن البلاذري ذكر أن اسمه الوليد بن معاوية بن عبد الملك ، يقول : «ومن قال وليد بن معاوية بن مروان باطل ، لم يكن لمعاوية بن مروان ، ابن يقال له الوليد» . راجع ، أنساب الاشراف ، ١٢١/٣ .

(٢١) الأزدي : تاريخ الموصل ، ١٢٧ .

ابن محمد بقيادة الوليد بن معاوية أن تلحق هزيمة بميمنة عبد الله بن علي ، بقيادة أبي عون عبد الملك بن يزيد العتكي^(٢٢) ، ولكن تلك المقاومة لم يكتب لها الصمود ، فأنشأها الضعف والوهن ، ويحمل المؤرخون أهل الشام مسؤولية ذلك التخاذل ؛ حيث دخلوا المعركة ، وكأنهم يدفعون إلى القتال دفعا ، إضافة إلى أن كل قبيلة كانت تحاول أن تدرأ نفسها بالقبيلة الأخرى ، فإذا طلب مروان بن محمد من قبيلة قضاة أن تقدم إلى القتال ، قالت : لماذا لاتقدم بنو سليم ، وإذا طلب من بني سليم ، قالوا : قل لسكاسك ، وهكذا في بقية القبائل ، بنو عامر ، والسكون ، وغطفان^(٢٣) ، ويبدو أن كثرة المعارك التي خاضها مروان بن محمد ، وتكالب أعدائه عليه ، كان عامل تخذيل كبير لتلك القبائل من الاستمرار في القتال ، الذي سئما منه ، ويشسوا من تحقيق نتائج حاسمة ، وربما ظهر في هذه الفترة تيار بين القبائل الشامية ، التي كانت تقف إلى جانب الأمويين يميل إلى العباسيين وسيظهر أثر هذا التيار بوضوح أثناء حصار مدينة دمشق كما سيأتي تفصيله إن شاء الله تعالى .

أسقط في يد مروان بن محمد ، ولم يكن يرى غير شبح هزيمة مروعة ، فلجأ إلى الفرار ، وعقد جسرا على الزاب ، فعبره ، وأمر من معه بالعبور ، وكان عبور الخائف من الموت ، جاء مرتبكا غير منظم ، تدافع الناس ، وسيط العباسيين تلهب في ظهورهم ، وسيفهم تقصف في رقابهم ، ورغم أن مصادر البحث لم تصدر إحصائية لعدد القتلى ، إلا أن عددهم فيما يبدو كثير ، بين قتيل وغريق ، لأن الموقف كان يُملي على عبد الله بن علي ، أن يضغط بشدة مستغلا هزيمة الأمويين ، فكانت معركة زاب الموصل بحق هي بداية النهاية لمروان بن محمد ، كما كانت أيضا بداية تثبيت أقدام العباسيين في مركز الخلافة ، لذا لم يملك أبو العباس السفاح عندما بلغته أنباء الهزيمة ، إلا أن يسجد لله شكرا ، وتلى الآية الكريمة ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ﴾^(٢٤) إلى آخر الآية . وأمر بإعطاء من شهد المعركة خمسمائة ،

(٢٢) المصدر نفسه ، ١٢٨ .

(٢٣) الطبري تاريخ الرسل الملوك ، ٤٣٤/٧ .

(٢٤) البقرة ، آية ٢٤٩ .

وأن ترفع أرزاقهم إلى ثمانين^(٢٥) ، وقد كانت تلك الهزيمة صبيحة يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت من جمادي الآخرة سنة ١٣٢هـ^(٢٦) .

لم تكن هزيمة مروان بن محمد نهاية المطاف بالنسبة للعباسيين ، لأنه لا تزال تنبض فيه عروق الحياة ، ولا يزال الأمل ، يراوده في الانتصار ، لذا قرر عبدالله بن علي أن يتعقبه للقبض عليه أولاً ، وثانياً لإخضاع بلاد الجزيرة ، وبلاد الشام ، أما مروان ابن محمد ففر حتى وصل الموصل ، ثم سار منها إلى مدينة حرّان ، حيث لم يهنأ بالمقام فيها أكثر من نيف وعشرين يوماً ، حتى لحقته جيوش عبد الله بن علي فتركها ، بعد أن خلف فيها زوج ابنته أم عثمان ، وهو في نفس الوقت ابن أخيه (أبان بن يزيد ابن محمد بن مروان) فدخل أبان في طاعة العباسيين ، وأمنه عبد الله بن علي ، وأمن من معه من أهل حران ، والجزيرة ، ووصل مروان بن محمد إلى قيسرين ، ثم إلى حمص ، فلم يتح له عبدالله بن علي الاستقرار ، والمقام في حمص ، حيث غادرها بعد وصوله بيومين ، أو ثلاثة أيام ، وبعد أن أظهر له أهل حمص السمع والطاعة ، ولكنهم غدروا به ، عندما رأوا قلة ما معه ، فقاتلوه ، فقاتلهم ، وهزمهم ، فوصل إلى دِمَشْق ، وعليها زوج ابنته أم الوليد ، الوليد بن معاوية بن عبد الملك ، ثم شخص إلى الأُرْدُنْ ، ووصل إلى فِلَسْطِين ، وعبدالله بن علي في أثره ، ومن فِلَسْطِين سار إلى مصر ، وما زال ينتقل فيها حتى وصل إلى قرية بوضير قوريدس من كور الأشمونين في صعيد مصر ، فكتب أبو العباس إلى عبدالله بن علي بأن يوجه صالح بن علي لمتابعة مروان في مصر ، حتى يتفرغ للعمل على استتباب الأمر في بلاد الشام ، والقضاء على بعض الثورات التي ظهرت في أماكن مختلفة مناصرة لبني أمية .

وصل صالح بن علي إلى مصر ، ومعه من القواد عامر بن إسماعيل الحارثي ، وأبوعون ، وابن فتان ، فقتل مروان بن محمد على يد أحد رجال عامر بن إسماعيل ، يقال له (المعوذ) وكان لا يعرفه ، فبادر رجل من أهل الكوفة ، فاحتز رأسه وبعث به إلى عامر بن إسماعيل الذي بعثه إلى أبي عون ، فارسله أبوعون إلى صالح بن علي ، الذي بعثه مع يزيد بن هانيء ، صاحب شرطة إلى أبي العباس السفاح .

(٢٦) المصدر نفسه ، ٤٣٥/٧ .

(٢٥) الطبري المصدر السابق ، ٤٣٤/٧ - ٤٣٥ .

كان مقتل مروان بن محمد ، يوم الأحد لثلاث بقين من ذو الحجة سنة ثنتين وثلاثين ومائة ، وكان عمره اثنتين وستين سنة^(٢٧) ، وخلافته خمس سنين وعشرة أشهر وستة عشر يوماً^(٢٨) ، فأثبت أنه رجل حرب ، صبور على الشدائد ، لم يخضع ، أويستسلم ، بل ظل يقاوم حتى آخر رمق ، رغم قلة أصحابه ، وتفرقهم من حوله ، وكثرة الفتوق ، والرُّتوق ، التي ظهرت عليه في كل مكان .

وهنا يبرز سؤال عن مصير من كانوا مع مروان بن محمد في رحلة المطاردة من أبنائه ، ونسائه ، وأفراد أسرته ، وأشياعه ، وهو أمر لم تغفله المصادر التاريخية .

فاليقوي ، يشوب روايته عن مصير أولئك الناس ، الغموض ، وتتسم بطابع الإثارة ، وهو في ذلك العرض المؤثر ، لا يُخفي تحامله على العباسيين ، حيث ذكر أنه كان لمروان بن محمد أربعة أبناء ذكور وهم : عبد الملك وعبد الله ، وعبيد الله ، ومحمد ، توجه عبد الله ، وعبيد الله ليلة قتل والدهما إلى صعيد مصر ، وعبرا منه إلى بلاد النوبة^(٢٩) ، حيث لحق بهما جماعة من أشياع بني أمية ، بلغ عددهم أربعة آلاف ، فساروا في رحلة شاقة ، هاموا فيها على وجوههم ، مع نسائهم وبناتهم ، وأخواتهم ، وبنات أعمامهم ، وفي بلاد النوبة أخذوا يمارسون نوعاً من النشاط السياسي ، والعسكري ضد بلاد السودان^(٣٠) وكان ملك النوبة^(٣١) خائفاً عليهم من مغبة نشاطهم ، وممارساتهم العسكرية ، فحذرهم من ذلك ، وخاف على نفسه إن هم

(٢٧) وقيل تسع وستين ، وقيل ثمان وخمسين ، راجع الطبري تاريخ الرسل والملوك ، ٤٤٢/٧ ، ويضيف اليقوي أنه كان ثمان وستين سنة ، تاريخه ، ٣٤٧/٢ .

(٢٨) للمزيد من التفاصيل عن تتبع مروان بن محمد ، وقته ، راجع ، الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ٤٣٢/٧-٤٣٥ ، ٤٣٧-٤٤٣ .

(٢٩) بلاد النوبة ، أرض واسعة في جنوبي مصر ، تحيط بشرق النيل ، وغربه يقول عنها القزويني : «أهلها أمة عظيمة ، نصارى بعامتهم» . آثار البلاد ، ٤٢ .

(٣٠) يصفها القزويني ويقول : «هي بلاد كثيرة . واسعة ينتهي شاطئها إلى أرض البربر ، وجنوبها إلى البراري ، وشرقها إلى الحبشة ، وغربها إلى البحر المحيط ، أرضها محترقة لتأثير الشمس فيها ، والحرارة بها شديدة جداً ، لأن الشمس لا تنزال مسامحة لرؤوسهم ، وأهلها عراة لا يلبسون من شدة الحر ، منهم مسلمون ، ومنهم كفار . المصدر نفسه ، ٢٤ .

(٣١) يذكر القزويني ، أن اسمه (كابيل) المصدر نفسه ، ٢٤ .

قتلوا ، فقالوا له : « . . نحن نكتب لك كتباً أننا وردنا بلادك ، فأكرمت مثنوا ، وأحسن جوارنا ، وجهدت ألا نبرح من عندك فأبينا حتى خرجنا ونحن لك شاكرون^(٣٢) ، فساحوا في البلاد وقتلوا جيوش الحبشة حتى وصلوا بجاة^(٣٣) فتصدى لهم ملك البجة ، وشعروا أنه لا قبل لهم بمواجهته ، فاتجهت أبصارهم الى بلاد اليمن .

لم يُقدِّم اليعقوبي تبريراً كافياً عن الأسباب التي جعلتهم يفكرون في اليمن ، هل بعدها عن مركز الخلافة ؟ أم لوجود بعض أشياعهم فيها ؟ مما يجعل الباحث غير مطمئن لدقة معلوماته ، ويزداد قناعة بضعف روايته ، عندما ينقله فجأة إلى اليمن ، دون إعطاء توضيحات عن كيفية عبورهم البحر ، حتى وصلوا إلى أرض اليمن ، ويتحدث عن رحلتهم وهم في طريقهم إلى بلاد اليمن بمبالغة واضحة تثير الشفقة ، والعطف ، وربما يتجاوز الباحث إلى مرحلة الشك في أن تلك الصورة تعبر عن الاحتقار والتهكم ببني أمية ؛ إذ يذكر أن الأمويين ، بينما كانوا سائرين في بلاد الحبشة ، اعترضهم طريقان بينهما جبل ، وأخذ كل واحد من الأخوين طريقاً ظناً أنه سيلتقي بالآخر بعد بُرْهة ، فساروا يوماً كاملاً ، فلم يلتقيا ، ففكروا في الرجوع ، فلم يقدرأ وواصلأ سيرهما أياماً ، فتعرضت لهم الحَبَشُ ، وهاجموا عبيد الله ، فقتلوه وأسروا من معه ، وتركوهم (بعد أن سلبوا كل ما معهم) يهيمنون في البراري عراة ، حفاة ، حتى أهلكهم العطش وبلغ الحد ، أن الرجل يبول في يده ، ويشرب بَوْلَه ، وربما عجن الرَّمْلَ ببوله ، وأكله حتى التقوا بعبد الله بن مروان ، الذي كان لا يقل عنهم عُزْياً وَجْهَداً ، وكانت معه بعض النساء اللاتي تقطعت أقدامهن من المشي ، وشربن أبواهْن ، فسار معهم اليعقوبي حتى أوصلهم باب المنذب حفاة عراة جِباعاً ،

(٣٢) اليعقوبي : تاريخه ، ٣٤٧/٢ .

(٣٣) يصفها القزويني ، ويقول : « هي أرض واسعة ، شامها الخليج البربري وجنوبها البر ، وشرقها الزنج ، وغربها البجة ، وأكثر أهلها نصارى يعاقبه ، والمسلمون بها قليل وهم أكثر الناس عدداً ، وأطولهم أرضاً ، المصدر السابق ، ٢٠ .

(٣٤) البجة ، بلاد متصلة بأعلى عَيْذاب ، في غرب منه ، أهلها صنف من الحبش ، المصدر نفسه ، ١٨ .

وأقاموا شهرا ، وجمع لهم الناس ما يحتاجون إليه في رحلتهم إلى مكة المكرمة ، التي رحلوا إليها متخفين في زي الحمالين^(٣٥)

وهكذا طَوَّف بنا اليعقوبي من بوسير ، إلى الثوبة ، إلى بلاد البجة ، فنقلنا إلى باب المندب ، ثم عاد بنا إلى مكة المكرمة ، دون أن يقدم لنا ما نحتاجه من ماء ، وزاد ، فأصبحنا كبني أمية عند اليعقوبي ، في عطش وجوع ، وأخذنا نفتش عن الماء والزاد عند الطبري ، الذي ذكر أيضا خبر هروب عبيد الله وعبد الله ليلة قتل مروان ابن محمد ، إلى أرض الحبشة ، ولكنها لم يكونا موضع حفاوة فقاتلتها الأحباش ، وقُتِل عبيد الله ، وسَلِمَ عبدُ الله ، في عدد ثَمَّن معه ، منهم بكر بن معاوية الباهلي ، فبقي عبد الله إلى خلافة المهدي (١٥٨-١٦٩هـ / ٧٧٥ - ٧٨٥م) فأخذه نصر بن محمد ابن الأشعث ، عامل فلسطين ، فبعث به إلى المهدي^(٣٦) ، ولم يذكر الطبري أي تفاصيل أخرى عن عدد من كان معها ، ومصير من بقي مع عبد الله ، والبلاد التي التجأوا إليها .

وفي الوقت الذي تلقي فيها رواية الطبري نوعاً من الغموض على نهاية أولئك الفارين نجد أن ابن عبد ربه في كتاب (العقد الفريد) يكرر ما ذكره اليعقوبي ، مع بعض الإيضاحات البسيطة إذ يذكر بعض أسماء النساء الأمويات اللاتي كُنَّ في هذه الرحلة ، مثل : أم خالد بنت يزيد ، وأم الحكم بنت عبيد الله ، وقد كانت صبيّة صغيرة ، كما ذكر أنه عندما قُتِل عبيد الله بأرض العدو أسروا ابنته أم الحكم ، وقُتِل رجل من أصحابه ، وتَرِكَ البقيّة ، بعد أن أُخِذَ سلاحهم ، وعندما وصل من بقي من أصحاب عبيد الله ، إلى البحر ، حيال المندب ، وافاهم عبد الله ، . ووصل عددهم ، ما بين أربعين إلى خمسين رجلاً فيهم : الحجاج بن قتيبة بن مسلم الحرون ، وعفان مولى بني هاشم ، ويوضح ابن عبد ربه سبب اختيار بني أمية لليمن ، ويقول : «ثم أجمع ابني مروان على أن يأتي اليمن ، وقال : نأتِيها ، قبل أن يأتيها المُسَوِّدَةُ فتحصن في حصونها ، وندعو الناس»^(٣٧) كما ذكر أن عبد الله ابن

(٣٥) تاريخه ، ٢ / ٣٤٧ - ٣٤٨ .

(٣٦) تاريخ الرسل والملوك ، ٧ / ٤٣٨ .

(٣٧) ٥ / ٢١٤ .

مروان، عندما أصبح في المنذب بعث إلى العدو الذين أسروا ابنة أخيه أم الحكم فقداها، وأضاف أيضاً أنه عندما أخذ إلى المهدي لجأت إمراته^(٣٨) إلى العباس بن يعقوب، كاتب عيسى بن علي، وأهدته لؤلؤا، وطلبت منه أن يكلم عيسى بشأنه، وأخبر العباس عيسى بذلك، وعندما هم المهدي بقتله، قال عيسى: إن له في أعناقنا بيعة، وقد أعطى كاتبني قيمة ثلاثين ألف درهم، فاكتمى المهدي بحبسه^(٣٩).

المسعودي، حاول أن يُقدِّم سرِّداً، وتفسيرا لهذه الأحداث قد يكون أكثر وضوحا من سابقه، وتزداد روايته أهمية في تحديد الأماكن التي اتجهوا إليها في هذه الرحلة، إذا عرفنا اهتمامه بالرحلة، وجغرافية الأرض حيث ذكر أن مَن تبع عبد الله، وعبيد الله أهلها، ومواليها وخواصهما، من العرب، وأشياعهما من أهل خراسان، فاتجهوا بمحاذاة النيل إلى أسوان، من صعيد مصر، ثم ساروا في أرض النوبة حتى وصلوا إلى أرض البجة، وساروا باتجاه باضع^(٤٠)، من ساحل بحر القلزم^(٤١) يقول المسعودي: «وكانت لهم مع من مرَّوا به من هذه الأمم حروب، وغارات، ونالهم جهدٌ شديد، وضرٌّ عظيم، فهلك عبيد الله بن مروان في عدة من كان معهم، قتلاً وعطشا، وضرراً وشاهد من بقي منهم أنواع الشدائد وضروب العجائب»^(٤٢) كما يذكر المسعودي وصول عبد الله مع الناجين إلى باضع من ساحل المعدن، وأرض البجة، ثم قطع البحر إلى جدَّة، ومن ثم مكة المكرمة، فعاشوا في بلاد الحجاز عيشة الكفاف مستترين عن أعين الناس، فقبض على عبد الله، في أيام أبي العباس السفاح، وأودع السجن، وبقي فيه بقية أيام أبي العباس، وطيلة أيام المنصور والمهدي والهادي، وإلى أن أخرجه هارون الرشيد، وقد أصبح شيخا ضريا فهلك في أيامه، وقيل أيام الأمين^(٤٣).

(٣٨) هي بنت يزيد بن محمد بن مروان بن الحكم.

(٣٩) ٢١٤-٢١٥.

(٤٠) يقول البكري: «باضع، موضع بساحل الحجاز معجم ما استعجم، ٢٢١/١، أما ياقوت، فإنه يذكر

باضع جزيرة في بحر اليمن، معجم البلدان، ٣٢٤/١.

(٤١) هو البحر الأحمر، حاليا.

(٤٣) التنبيه والاشراف، ٢٨٥ - ٢٨٦.

وقبل أن نختم هذه الفقرة، نشير إلى رواية ذكرها ابن الأثير^(٤٤)، حول نساء مروان ابن محمد وبناته، فقد أشار إلى أنهن كنَّ ليلة مقتله، في إحدى الكنائس في بوسير حيث أكل مروان بن محمد إلى أحد أتباعه بقتلهن إن هو قتل، حتى لا يتعرضن للإمتهان، فعثر عليهن، عامر بن إسماعيل الحارثي، وبعث بهنَّ إلى صالح بن علي فطلبن منه الرأفة: والرحمة، وذكرنه بالقرابة والرحم، وتكلمت في ذلك أبنه مروان الكبرى، وقالت له: نحن بناتك وبنات أخيك، وابن عمك فلْيَسْعِنَا مِنْ عَفْوِكَ، مَا وَسَّعَكُمْ مِنْ جُورِنَا. فنالت إعجاب صالح بن علي، وتقديره، وعرض عليها أن تزوج من ابنه، إلا أنها فضّلت مع بقية النساء الذهاب إلى حرّان، فحملهن إلى حيث أردن، ولم يعرضهن لسوء.

ثورات قواد بين أمية:

نعود، ونسائل هل وضعت هزيمة مروان بن محمد حداً لمخاوف، وقلق العباسيين؟ سير الأحداث التالية يكشف أن النبض في عروق بعض القادة المخلصين لبني أمية مستمر والأمل في النصر لازال معقوداً، فهزيمة، مروان بن محمد لا تمثل نهاية المطاف، وبلوغ اليأس، فلا زال منهم بقية تستطيع أن تتسلم الراية، وتقود دفعة المقاومة، وقد كان العباسيون يدركون هذا الوضع، الأمر الذي جعلهم يستمرون في سياسة العنف والقمع، ما دامت المقاومة عنيفة، ومادام الخطر قائماً، ففي مدينة واسط، كان يتحصن القائد الأموي يزيد بن عمر بن هبيرة، ومعه جمع من أنصاره الأمويين، من أهل الشام، فوجه له العباسيون أبرز قوادهم في تلك المرحلة، الحسن بن قحطبة الطائي، وإلى جانبه بعض القواد البارزين، أمثال: أبونصر مالك بن الهيثم، ورغم إمكانات، واستعدادات الحسن بن قحطبة، إلا أنه لم يستطع حسم الموقف لصالح العباسيين، فاستمرت الحرب سجّالاً بين الفريقين، وقد أكد الحسن بن قحطبة فشله في القضاء على مقاومة ابن هبيرة، عندما عجز عن كسب ود جنده من الخراسانية، الذين كتبوا لأبي العباس يطلبون منه أن يولي عليهم قائداً آخر، ومن أهل بيته، فوجه أبو العباس أخاه أبا جعفر المنصور،

(٤٤) الكامل في التاريخ، ٤٢٧/٥ - ٤٢٨.

إدراكاً منه لأهمية الموقف ، وخطورته ، وضرورة حسمه ، ولكن هل نجح المنصور فيما فشل فيه ابن قحطبة ؟ أظهرت الأحداث أن المنصور رغم التفاف الخراسانية حوله لم يكن أوفر حظاً من سابقه ، بل استمر الوضع بين هزيمة ونصر لكلا الفريقين دون حسم ، وبعد أحد عشر شهراً من المحاجزة ، والمناجزة تنفس العباسيون الصعداء ؛ عندما قُتل رمز المقاومة الأموية ، مروان بن محمد في مدينة بوسير ، فأعلن النبا في أهل الشام ، الذين لازالوا يقاومون في مدينة واسط بقيادة ابن هبيرة ، وقيل لهم : عَلَامَ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ ، وقد قُتل مروان فأسقط في أيديهم ، وانهارت معنوياتهم ، وضعفت مقاومتهم ، فبادر معن بن زائدة الشيباني ، وطلب الأمان من المنصور فأمنه ، ثم تبعه ابن هبيرة في طلب الأمان ، فأمنه المنصور ، واشترط عليه إن نكث أو غدر فلا أمان له^(٤٥) والمنصور بهذا الموقف إنما يعبر عن أسلوب المهادنة والموادعة ، وهو أحد الأساليب التي واجه بها العباسيون المقاومة أو الأزمة الأموية ، ولكن هل استكان يزيد ، وقَدَّر للعباسيين ذلك الموقف ؟ رواية البلاذري تشير إلى أن تحركات يزيد لم تتوقف ضد العباسيين ، فهو عندما فقد الأمل في الأمويين ، مَدَّ جسوراً من التعاون مع العلويين ، الذين أخذوا يناصبون بني العباس العداء ، لأنهم يرون أنفسهم أحق بالخلافة ، فراسل محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، وأثارة ضد العباسيين فوقف أبو العباس على هذه الحقيقة وألح عليه أبو مسلم الخراساني ، (الذي كان يعيش قمة مجده في هذه الفترة) على ضرورة التخلص من يزيد ، فكتب أبو العباس إلى أخيه المنصور ، في قتله ، فتردد المنصور في بادئ الأمر للأمان الذي كتبه له ، إلا أن أبا العباس كرّر عليه مرة أخرى ، فقتل يزيد ، وقتل معه ابنه داود ، وكتبه عمر بن أيوب ، ومن كان معه من أعوانه ، ما عدا أبو علاقة الفزاري ، وهشام بن هبيرة ، وصفوان بن يزيد ، الذين فروا من المذبحة ، فلحق بهم ، سعد بن شعيب ، أحد قواد أبي جعفر فقتلهم^(٤٦) يحدد صاحب

(٤٥) البلاذري : أنساب الاشراف ، ١٤٥/٣ ، وراجع نص الأمان في كتاب الإمامة والسياسة ، ١٢٦/٢-١٢٩ ،

وانظر أيضاً ابن خلدون : تاريخه ، ١٧٦-١٧٥/٣ .

(٤٦) البلاذري : أنساب الاشراف ، ١٤٥/٣-١٥٠ ، وابن خلدون ، العبر ، ١٧٥/٣-١٧٦ .

كتاب الإمامة والسياسة عدد قتلى هذه المذبحة بخمسين رجلا ، من وجوه أصحاب يزيد ثم بعد ذلك أعلن المنصور الأمان للناس جميعا^(٤٧) .

أما في قنسرين ، فقد استغل قائد من قواد مروان بن محمد ، وفرسانه ، وهو أبو الورد مجزأة بن الكوثر بن زفر بن الحارث الكلابي^(٤٨) ، فرصة مضايقة بعض فرسان عبد الله بن علي ، من الخراسانية لأولاد مسلمة بن عبد الملك^(٤٩) ، وذكر أنه كانت بمدينة بالس^(٥٠) ابنة لمسلمة بن عبد الملك ، خطبها عامل عبد الله بن علي ، وهو من أهل خراسان فأظهرت له الموافقة ، ولكنها استجارت بأبي الورد ، فخرج أبو الوازع في جماعة ، وجاءوا بالس ، فقتلوا العامل الخراساني ، وهو في الحمام ، فأشعل هذا الموقف فتيل الفتنة ، حيث لحق أبو الورد بأخيه ، ودعا الناس للثورة ضد العباسيين ، وشايعة قبيلة قيس ، وبلغ عدد أنصاره حوالي سبعة آلاف مقاتل^(٥١) .

أما الطبري ، فقد ذكر سببا آخر يختلف عما ذكره البلاذري ، وهو أن ولد مسلمة ابن عبد الملك كانوا مجاورين ، لأبي الورد في بالس ، والنَّاعورة ، فقدم بالس أحد قواد عبد الله بن علي ومعه مائة وخمسون فارسا ، فضايق ولد مسلمة ، فشكوا ذلك إلى أبي الورد ، الذي كان في مزرعة له يقال لها (زراعة بني زفر) ، أو (خساف) فخرج مع بعض أفراد أسرته ، وهجموا على ذلك القائد ، فقاتلهم ، فقتلوه مع أصحابه ، ثم أعلن أبو الورد الثورة ضد العباسيين^(٥٢) .

وأيّا كان الأمر ، فإن قصة أبناء مسلمة بن عبد الملك ، هي الشرارة التي أشعلت

(٤٧) ١٣١/٢ .

(٤٨) حسب رواية الطبري ، في تاريخه ، ٤٤٣/٧ ، وكذلك ابن كثير ، في البداية والنهاية ٥٢/١٠ ، أما البلاذري فقد ذكر أن اسمه مجزأة بن هذيل زفر الكلابي ، راجع المصدر السابق ١٦٩/٣ وكان مجزأة هذا ، ممن بايع عبد الله بن علي ، فأقره على مدينة قنسرين ، راجع الطبري ، المصدر السابق ، ٤٤٣/٧ ، وابن كثير : المصدر السابق ، ٥٢/١٠ .

(٤٩) الطبري : المصدر السابق ، ٤٤٣/٧ .

(٥٠) بالس : بلدة بين حلب والرقة ، على ضفة الفرات الغربية ، ياقوت : معجم البلدان ٣٢٨/١ .

(٥١) أنساب الاشراف ، ١٦٩/٣ .

(٥٢) تاريخ الرسل والملوك ، ٤٤٣/٧ .

الفتيل ، ويبدو أن أبا الورد كان يترصد الفرصة للخروج على العباسيين ، إذ أن في مقدوره إنهاء تلك المضايقات بإسلوب ودي ، خاصة وأنه محسوب في تلك الفترة على العباسيين ، فهو أحد أتباعهم ، وعمّالهم على قنّسرين ، مما يُمكنه من حل الموضوع ، دون حمل السلاح ، ولكنه لجأ لحمله ، وفجر الثورة ضد العباسيين .

سمح أبو محمد زياد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية^(٥٣) ، بخروج أبي الورد ، فادّعى أنه هو السفيفاني ، الذي يُروى أنه يرّد دولة بني أمية ، ونزل دَيْرَحْنَا ، فبايعه الناس ، وكتب إلى هشام بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، يدعوه للخروج ، إلا أن هشاماً اعتذر بالمرض ، فأراد أبو الورد ، أن يستغل تفاعل السفيفاني ، وحامسه ، فتحالف معه ، وأصبح زياد ، هو واجهة الثورة ، وأبو الورد بمثابة وزيره . .

اتسعت الثورة ، وتفاقم خطرها ، بعد انضمام أبي محمد ، الذي لحقت به جموع من أهل حمص ، وتدمر ، وحلب ، بلغت حوالي أربعين ألف مقاتل^(٥٤) ، مما أقلق العباسيين ، خاصة بعد هزيمة عبد الصمد بن علي ، الذي بعثه أخوه عبدالله بن علي ، في عشرة آلاف مقاتل ، فقتل ألوف من أصحابه حسب رواية الطبري^(٥٥) ، وكان على العباسيين مواجهة هذه الثورة بعنف ، والوقوف منها بحزم .

وَحَدَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ جَهْدَهُ ، وَتَفَرَّغَ لِلْقَضَاءِ عَلَى تِلْكَ الثَّوْرَةِ ، وَضُمَّ إِلَيْهِ أَكْثَرُ قَوَائِدِهِ ، أَمْثَالُ : حَمِيدُ بْنُ قَحْطَبَةَ ، وَعَبْدُ الصَّمَدِ ، وَدَارَتْ الْمَعْرَكَةُ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ آخِرِ ذِي الْحِجَّةِ ، مِنْ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَمِائَةٍ ، عِنْدَ مَرْجِ الْأَخْرَمِ ، وَكَانَ عَلَى مِيمَنَةِ أَبِي مُحَمَّدٍ ، أَبُو الْوَرْدِ ، وَعَلَى مِيسَرَتِهِ الْأَصْبَغُ بْنُ ذُوَالْهِكْلِيِّ ، وَرَغِمَ هَزِيمَةُ بَعْضِ أَصْحَابِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ إِلَّا أَنْ أَهْلَ الشَّامِ انْهَزَمُوا فِي نَهَايَةِ الْأَمْرِ^(٥٦) ، وَيَذْكُرُ الطَّبْرِيُّ ، فِي إِحْدَى رَوَايَاتِهِ ، أَنَّ أَبَا الْوَرْدِ ثَبَتَ فِي نَحْوِ خَمْسِمِائَةٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ ،

(٥٣) يذكر البلاذري ، أن هذا هو الثابت في اسم السفيفاني ، وينفي أن يكون اسمه العباس بن محمد بن عبدالله بن يزيد بن معاوية ، (أنساب الاشراف ، ١٦٩/٣ - ١٧٠) .

(٥٤) الطبري : المصدر السابق ، ٤٤٤/٧ ، وابن خلدون : العبر ١٧٤/٣ .

(٥٥) تاريخ الرسل والملوك ، ٤٤٤/٧ .

(٥٦) البلاذري : أنساب الاشراف ، ١٧٠/٣ .

وقومه ، فقتلوا جميعاً^(٥٧) ، بينما جاء عند البلاذري^(٥٨) ، وفي رواية أخرى للطبري^(٥٩) أيضاً أن أبا الورد خرج ، وحمل إلى أهله ، ومات ، أما أبو محمد السفيناني فقد هرب ، مع جماعة من بني كلب ، ولحق بتدمر^(٦٠) ، ثم اختفى بعد ذلك في المدينة ، حتى تعرف عليه عاملها من قبل المنصور ، زياد بن عبيد الله الحارثي ، فوجه إليه جماعة لاسره فقاومهم ، ورماه رجل منهم بسهم ، صاب ساقه فسقط واعتورته سيوفهم ، وقتلوه ، فقاوم ابنه مخلد ، وقاتل حتى قُتل ، وصُلب مع أبيه^(٦١) .

نجح عبد الله بن علي في القضاء على مشكلة أبي الورد ، ولكن بعد أن فقد عدداً غير قليل من جنده ، مما حدا به إلى تجنب المزيد من الخسائر ، وتجنب المزيد من الموتورين الناقمين ، فأثر جانب الرفق بالناس ، وتأليف قلوبهم ، ولم يتعرض لأهل قنسرين بسوء فنادى بأمانهم ، وأظهروا له الطاعة ، واتخذوا السواد شعاراً لهم ، ولعل عبد الله بن علي كان يترسم خطى السياسة العباسية التي تهدف إلى المحافظة على كيان الدولة ، ومكتسباتها ، باستخدام أسلوب الشدة والقسوة حيناً والمهادنة حيناً آخر .

كانت الدولة العباسية تسير على أمواج عاتية متعاقبة ، في بحر من المشكلات والاضطرابات ، في بلاد الشام ، والأقاليم المجاورة لها ، فلا تكاد تنتهي مشكلة حتى تبرز أخرى ، وربما تزامنت ، وتشابكت المشكلة مع الأخرى ، حتى يُجَيَّل للإنسان أنها وصلت إلى درجة من التعقيد ، يستعصي حلها ، أو السيطرة عليها ، ولم يكن لتلك المشكلات أن تنتهي لولا قادة بارزون من أفراد البيت العباسي ، أمثال : عبد الله بن علي ، الذي عُرف بصلافة موقفه ورباطة جأشه ، مما يدعونا إلى القول ، بأن الأحداث أثبتت نجاح الخطة العباسية ، عندما أسندت القيادة العليا في هذه المرحلة بالذات ، إلى رجال من أفراد البيت العباسي ، أمثال : عبد الله بن علي

(٥٧) المصدر السابق ، ٤٤٥/٧ ، وقد أشار إلى أن المعركة وقعت في سنة (١٣٣هـ / ٧٥٠م) .

(٥٨) المصدر السابق ، ١٧٠/٣ .

(٥٩) المصدر السابق ، ٤٤٥/٧ .

(٦٠) المصدر السابق ، ٤٤٤/٧ .

(٦١) (البلاذري ، المصدر السابق ، وابن خلدون : العبر ، ١٧٤/٣ .

وصالح بن علي ، وداود بن علي ، وسليمان بن علي وعبد الصمد بن علي ، وأبو جعفر المنصور .

ولعل الخطوة التالية من البحث تُبرز ، كيف تشابكت المشكلات ، فتداخلت على العباسيين ، وأخذ بعضها برقاب بعض ؛ ففي الوقت الذي ظهرت فيه مشكلة قنسرين ، كان عبد الله بن علي يصارع مشكلة أخرى ، أثارها قائد آخر ، من قواد مروان بن محمد وفرسانه هو حبيب بن مرة المري ، الذي أعلن الثورة في البلقاء (البُشَيْيَّة ، وَحُورَان) ، بحجة الخوف على نفسه ، وعلى قومه ، من العباسيين ، وشايعته قبائل قيس فوقف ضده عبدُ الله بن علي عدة وفقات إلا أنه لم يتمكن من حسم الموقف لصالحه حتى فوجئ بإعلان أبي الورد الثورة في قنسرين ، بل هزيمة أخيه عبد الصمد بن علي ، وقتل الألف من جنده ، فوقَّع الصلح مع حبيب ابن مرة ، وأمنه ، ومن معه ، واتجه بجنده إلى قنسرين^(٦٢) .

وفي طريقه لإخضاع ثورة قنسرين ، رغب عبد الله بن علي ، أن يطمئن على أهله وثقله في دمشق ، وأن يُنِيب عنه من يقوم بأمرها حتى عودته ، فخرج عليها ، واستخلف (أبا غانم عبد الحميد بن رعي الطائي) في أربعة آلاف من الجند ، وخيَّل إليه أنه أمن العاقبة ، ولكنه لم يكد يجتازها ، ويصل إلى حمص ، حتى أعلن أهلها خلع طاعة أبي العباس ، ورفعوا شعار الأمويين وقتلوا عامله (أبا غانم الطائي) ، مع مجموعة من أصحابه ، وهم وإن لم يتعرضوا لأهله بسوء ، إلا أنهم انتهبوا ثقله وحواصله ، يقول ابن كثير : «فتفاقم الأمر على عبد الله»^(٦٣) .

ويبدو أن ثورة دمشق لم تكن في خطورة ثورة أبي الورد في قنسرين ، لذا أثر عبدُ الله بن علي القضاء على أبي الورد أولا ، وفعلًا عندما تحقق له النصر ، وكرَّ راجعا إلى دمشق ، وسمع أهلها ما حل بقنسرين ، وانهارت مقاومتهم وآثروا

(٦٢) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ٤٤٦/٧ ، ابن خلدون ، العبر ، ١٧٣/٣ .

(٦٣) البداية والنهاية ، ٥٢/١٠ .

السلامة ، ولم يكن عبدُ الله بن علي في موقف يدعو لتتبعهم والبطش بهم ، بل أثر المهادنة ، فأمنهم ، واكتفى بعودتهم إلى طاعته مرة أخرى^(٦٤) .

سمع أهل الجزيرة خبر خروج أبي الورد في قنسرين ، وانشغال العباسيين بمناجزته ، فاستغلوها فرصة ، وأعلنوا بدورهم الثورة^(٦٥) ، وكان عامل حران من قبل العباسيين هو (موسى بن كعب) في ثلاثة آلاف من الجند فساروا إليه ، من كل صوب ، وحاصروه مع جنده ، وقد كانوا بلا زعيم يقودهم ويوجههم ، مما يعني أن ثورتهم ضد العباسيين ، لم توجهها مؤثرات خارجية أو قيادة بارزة ، بل الرفض للحكم العباسي ، ويقوا بلا زعيم ، حتى قدم إليهم أحد قواد مروان بن محمد ، الذين فروا إلى أرمينية ، إثر مقتله ، وهو إسحاق ابن مسلم^(٦٦) العُقيلي ، فرأسه أهل الجزيرة عليهم ، وحاصروا عامل حران أكثر من شهرين ، فاشتعلت الثورة في كل مكان من الجزيرة ، في قرقيسياء ، والرُّها ، ودارا ، وماردين ، وسميساط ، كلها خلعت طاعة العباسيين ، ورفعت شعار بني أمية .

قاد إسحاق ستين ألف مقاتل ، من أهل الجزيرة يقف إلى جانبه ، ويشد من أزره ، أخوه (بكار بن مسلم) مما أثار مخاوف أبي العباس ، الذي قرّر أن يرمي إسحاق وجوعة ، بابرز شخصيتين في البيت العباسي ، وهما : أخوه أبوجعفر المنصور ، وعمه عبدالله بن علي .

في الوقت الذي أقبل فيه عبدالله بن علي بجنوده ، من بلاد الشام ، كان أبوجعفر المنصور يتنقل من مدينة إلى أخرى من مدن بلاد الجزيرة ، مع جنده الذين سبق وأن حاصروا بن هبيرة في واسط ، فوصل إلى قرقيسياء ، فأغلق أهلها الباب دونه ، ثم قدم مدينة الرقة ، ووجد أهلها مبيضين ، بزعامة بكار بن مسلم ، ورحل إلى حران التي تركها إسحاق بن مسلم إلى مدينة الرُّها ، وكان ذلك في سنة ١٣٣ هـ ، وفي حران انضم عامل العباسيين المحاصر ، موسى بن كعب ، بمن معه إلى جيش أبي جعفر

(٦٤) الطبري : المصدر السابق ، ٤٤٤/٧ ، وابن كثير : المصدر السابق ، ٥٢/١٠ .

(٦٥) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ٤٤٦/٧ .

(٦٦) يطلق عليه ابن الاثير ، اسم (سَلَم) ، راجع (الكامل في التاريخ ، ٣٤٤/٥) .

المنصور ، فاشتبك في هذا الأثناء أبوجعفر المنصور في معركة مع جماعة من ربيعة ، في دارا ، وماردين ، بزعامة رجل من الحرورية ، يُقال له (بُرَيْكَة) ، ولم يستطع بكَاربن مسلم ، الذي وصل لنجدة بُرَيْكَة ، انقاذه من الهزيمة ، ثم القتل على يد أبي جعفر المنصور ، فرحل بَكَارُ إلى أخيه إسحاق في الرُّها ، وخَلَفَه عليها ، فمضى إسحاقُ إلى سُمَيْسَاط ، حيث تحصن بها ، وحفر خندقا حولها ، ووصل في هذه الفترة عبدُ الله بن علي ، ونزل بإزائه ، على الضفة الأخرى ، من نهر الفُرات .

حاصرت جيوش العباسيين إسحاق في سُمَيْسَاط قرابة سبعة أشهر ، وهو صامد يأبى الاستسلام ويقول : في عنقي بيعه ، فأنا لا أدعها ، حتى أعلم أن صاحبها مات ، أو قُتل ، فكتب إليه أبوجعفر المنصور ، . أن مروان قد قُتل فقال : حتى أَتَيِّقَنَّ ، فلما تَيَقَّنَ من ذلك ، طلب الصلح ، وقال : قد علمت أن مروان قد قتل ، فكتب المنصور بذلك إلى أبي العباس السفاح ، الذي أمر بتأمينه ، وتأمين من معه ، فتم ذلك ، وكتب كتابا بالصلح ، فاستسلم إسحاقُ ، وقرَّبه أبوجعفر ، وأصبح عنده من آثار أصحابه^(٦٧) .

وهكذا أثبت إسحاق بن مسلم ، أنه قائد مخلص يحترم العهودَ والمواثيقَ ، فلم يكن يطمع في تحقيق مكاسب خاصة ، بقدر طمعه أن يَشُدَّ من أزر سيِّده مروان ابن محمد في مقاومته للعباسيين ، ولعل هذه الروح المخلصة كانت سببا في احترام المنصور له ، واستخلاصه لنفسه ، وتقريبه إليه .

تجنبت مصادرُ البحث النص على اسم من تولى القيادةَ العامَّةَ أثناء محاصرة سُمَيْسَاط ، هل هو أبوجعفر المنصور ، أم عبد الله بن علي ؟ أم أنَّ كل واحد منهما كان مستقلا بمن معه من الجنود ، ولكنَّ سير الأحداث يشيرُ إلى أن الشخصية البارزة ، هي شخصيةُ أبي جعفر المنصور ، فهو حسب رواية الطبري الذي وقَّع الصلح مع إسحاق بن مسلم ، بعد موافقة أبي العباس السفاح ، وإن كان ابن الاثير قد أشار إشارة عابرة إلى أنَّ عبد الله بن علي ، هو الذي وقع الصلح مع إسحاق بن مسلم^(٦٨) .

(٦٨) الكامل في التاريخ ، ٤٣٥/٥ .

(٦٧) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ٤٤٦/٧-٤٤٧ .

أسندت ولاية إقليم الجزيرة بعد تلك الأحداث إلى أبي جعفر المنصور ، إضافة إلى إقليمي أذربيجان ، وأرمينية^(٦٩) ، مما يشير إلى أهمية هذه الأقاليم وقد عمل المنصورُ جاهداً على استقرار الأمر في تلك الأقاليم للدولة العباسية .

لم تتحدث المصادر التاريخية عن ممارسات قمعية قام بها العباسيون ضد أهالي إقليم الجزيرة ، عدا المواجهة التي كانت بين أبي جعفر المنصور ، وُريّكه ، زعيم الحرورية ويبدو أن العباسيين ، لم يَرو ضرورةً للعنف ، ما دامت تلوحُ في الأفق بادرةُ سَلَمٍ تُحقن بها دماء المسلمين .

وقبل أن ينتهي الحديث عن هذه الفقرة ، هناك رواية أوردها ابن العديم ، ذكر فيها أن أبان بن معاوية بن هشام بن عبد الملك ، قاد أربعة آلاف مقاتل ، من نخبة من كانوا مع إسحاق بن مسلم العُقَيْلي ، ودخل بهم سُمَيْسَاط فوجه إليه عبدُ الله بن علي ، حميد بن قحطبة فهزمت ، ودخل سُمَيْسَاط^(٧٠) .

تلك أبرز مظاهر المقاومة الأموية ، وموقف العباسيين منها ، حيث زاجوا فيه بين أسلوب القمع والشدّة ، وأسلوب المهادنة والمواذعة ، ضمن السياسة العامة التي اختطوها لأنفسهم في تلك المرحلة المبكرة من تاريخ دولتهم ، وقد استغرقت تلك المقاومة عامي ١٣١هـ ، ١٣٢هـ ، وجزءاً من عام ١٣٣هـ ، ورغم قصر هذه المدة قياساً بعمير الدولة العباسية الذي استمر أكثر من خمسة قرون ، إلا أنها كانت فترةً خطّرت أثار مخاوف العباسيين ، وهذّت دولتهم .

انهيار المقاومة :

نتقل إلى وجه آخر من أوجه المقاومة الأموية ، برزت فيه المواجهة العباسية أعنف وأقوى ، حتى يمكن وصفها في بعض مراحلها بالانصافية الجماعية لبني أمية ، وما بلغت النظر أن أحداث هذه المرحلة ، كانت مثار اختلاف بين المؤرخين تباينت رواياتهم ، واختلفت آراؤهم .

(٦٩) الطبري : المصدر السابق ، ٤٤٧/٧ .

(٧٠) زبدة الحلب من تاريخ حلب ، ٥٦/١ .

أحداث دمشق :

أثناء مطاردة عبد الله بن علي ، مروان بن محمد ، مر بدمشق ثم تركها بعد أن خلف عليها صهره (الوليد بن معاوية بن عبد الملك بن مروان) فقدم عبدُ الله ابن علي ، وهو يدرك أن عاصمة الأمويين لن تستسلم له بسهولة وأن سقوطها على يده ، سيكون عاملاً ارتياح للعباسيين ، وإضعاف لمقاومة الأمويين .

نزل عبد الله بن علي المزة ، وكان بحاجة إلى تعزيز قواته ، وفعلوا وصله مدد قوامه ثمانية آلاف مقاتل ، بقيادة أخيه صالح بن علي ، فحضر الحصار على دمشق ، ووزع أعوانه من القواد على مختلف أبوابها ، أخوه صالح بن علي ، على باب الجابية وأبوعون ، على باب كيسان ، ويسام بن إبراهيم ، على باب الصغير ، وحيد ابن قحطبة ، على باب توما ، وعبد الصمد بن علي ، ويحيى بن صفوان ، والعباس ابن يزيد ، على باب الفراديس^(٧١) .

استمر الحصار خمسة أشهر ، وفي رواية مائة يوم ، وفي رواية شهر ونصف^(٧٢) ، فلم يستطع العباسيون اقتحامها ، حتى وقع الخلاف بين أهلها ، حيث انقسموا إلى فريقين ، فريق يؤيد العباسيين ، وآخر يؤيد الأمويين ، وقد كانت قيس أكثر موالاة للأمويين ، بينما تميل القبائل اليمانية إلى العباسيين ، تطور الانقسام إلى اشتباك بين الفريقين ، فقتل بعضهم بعضاً ، حتى أن عامل الأمويين ذهب ضحية هذا الخلاف ، حيث قُتل في إحدى هذه الاشتباكات^(٧٣) ، وقد بلغ عمق الخلاف بين سكان دمشق ، أو بين القيسية واليمانية ، أنهم وضعوا في كل مسجد محرابين ومنبرين ، فيصلي أولئك بخطبة ، وإمام ، وهؤلاء بخطبة وإمام^(٧٤) .

استغل عبدُ الله بن علي هذه الفرصة ، وبدأ اتصالاته باليمانية ، واتفق معهم على

(٧١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ٤٤٠/٧ .

(٧٢) ابن عساكر : تاريخ دمشق ، ٦٤٩/١٠ .

(٧٣) الطبري : المصدر السابق ، ٤٤٠/٧ ، وابن عساكر : المصدر السابق ، ٦٤٩/١٠ ، وابن كثير البداية والنهاية ، ٤٤/١٠ .

(٧٤) ابن عساكر : المصدر السابق ، ٦٥٠/١٠ .

فتح الأبواب ، على أن يُمَيِّزُوا أَنْفُسَهُمْ عن القيسية بلبس اللون الأصفر ، حتى لا يقتلهم الجند ، عند دخول دمشق ، وَفِعْلاً نُفِذَ الانساق ، وفتحت اليمانية الأبواب ، وأوكل حفظ الأبواب إلى عبيد الله بن الحسن ، من ولد جعفر بن أبي طالب الهاشمي الأعرج ، ومعه خمسة آلاف من الجند فدخل عبد الله بن علي دمشق منتصرا يوم الأربعاء لعشر خلون من رمضان سنة ١٣٢ هـ ، وكان الجند الخراسانية ، ينادون «يا محمد يا منصور نكس ، نكس ، وهاد ، وهاد ، يعني اقتلوا ، اقتلوا ، وتتفق كثير من المصادر التاريخية ، على أن عبد الله بن علي أوقف القتال بعد ثلاث ساعات ، من دخوله دمشق^(٧٥) ، ولكنها تختلف حول الأسلوب الذي عامل به أهل دمشق ، وتصوير ما أحدثه فيهم من مذابح ، يذكر اليعقوبي أن أهل دمشق وسطوا ، أثناء الحصار ، يحيي بن بحر ، أحد المقبولين لدي العباسيين ، في طلب الأمان ، فاستجاب لهم عبد الله بن علي ، فخرج الناس ، مستبشرين بالأمان ، وبينما كان عبد الله بن علي يهيم بكتابة الأمان ضرب ببصره تجاه دمشق ، فإذا بالسور ، قد غشيتها المسودة ، فنكت عهده ، وقال : دخلتها قسرا^(٧٦) ، ولا يخفي الانتهاء الواضح ، في هذه الرواية - لعبد الله بن علي بالغدر والخيانة ، وما يجعل الباحث يتردد في قبولها ، ما عُرف عن اليعقوبي من نظرة غير موضوعية تجاه العباسيين ، بسبب ميوله العلوية .

لا يستطيع الباحث من خلال استعراضه للروايات المختلفة ، أن ينكر ، أن عبد الله بن علي لجأ إلى أسلوب العنف في معاملته لأهل دمشق قاعدة بني أمية ، فاستغل الفرصة ، وقضى على عدد غير قليل ، من أفراد البيت الأموي ، بصفة خاصة ، وفي الوقت الذي أغفلت فيه بعض المصادر^(٧٧) ، ذكر عدد قتلى بني أمية في دمشق ، وصلت مصادر أخرى ، إلى درجة المبالغة ، عندما ذكرت أن عبد الله ابن علي قضى في ثلاث ساعات فقط على خمسين ألف من أهل دمشق^(٧٨) وذكر بعضها أن

(٧٥) الطبري : تاريخ المرسل والملوك ، ٤٤٠/٧ ، وابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٤٢٥/٥ ، والذهبي : تاريخ الاسلام ، حوادث ووفيات (١٢١-١٤٠ هـ) ، ٣٣٩ ، وابن كثير : البداية والنهاية ، ٤٥/١٠ .
(٧٦) تاريخه . ٣٥٦/٢ .

(٧٧) مثل : الطبري : المصدر السابق ، ٤٤٠/٧ ، والمقدسي : البدء والتاريخ ، ٧٢-٧١/٦ ، وابن عساكر : تاريخ دمشق ، ٦٤٩/١٠-٦٥٠ ، وابن الأثير المصدر السابق ، ٤٢٥/٥ .

(٧٨) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ١٦١/٦ ، وابن كثير : المصدر السابق ١٠ : ٤٥ .

عدد القتلى كثير، منهم ثمانين من ولد مروان بن الحكم فقط^(٧٩) ، كما أشار البعض ، إلى أنَّ عدد القتلى من بني أمية جاوز ثمانين نفْسًا^(٨٠) ، كما أشار البعض إلى أن أبا العباس السفاح شارك في تقتيل بني أمية ، أسرى دمشق ، عندما بعث إليه عمه عبدُ الله بن علي يزيد بن معاوية بن مروان ، وعبدُ الله بن عبد الجبار بن يزيد بن عبد الملك ابن مروان ، فقتلها أبو العباس ، وأمر بصلبها في الحيرة^(٨١) بل إن مؤرخا مثل المقدسي يذكر ، أن عبد الله بن علي بعث بجميع من ظفر به ، من بني أمية ، ومن أولادهم ، ومواليهم ، ومواليهم إلى أبي العباس ، فقتلهم وصلبهم جميعا في الحيرة^(٨٢) ، ولا يتردد مؤرخ آخر ، هو ابن أعثم الكوفي ، في اتهام أبي العباس أيضا بأنه كتب إلى عمه عبد الله بن علي ، وكرر عليه ألا يدع من بني أمية أحدا ، يقدر عليه إلا قتله^(٨٣) ، وفي اتهام آخر ، ذكر بأنه كتب إليه بنش قبور بني أمية ، وإخراج عظامهم^(٨٤) ، مُبرِّزا بذلك أن عبد الله بن علي كان يتصرف حسب أوامر أبي العباس ، وتوجيهاته ، بما في ذلك تقتيلهم ، ونش قبورهم ، وهي اتهامات لم يستطع مؤرخ مثل اليعقوبي أيضا اخفاءها ، عندما ذكر أن أبا العباس السفاح كتب إلى عمه عبد الله بن علي ، عندما دخل دمشق «خذ بثأرك من بني أمية» ، يقول اليعقوبي : «فَفَعَلَ بِهِمْ مَا فَعَلَ ، وَوَجَّهَ فَنَشَّ قُبُورَ بَنِي أُمَيَّة»^(٨٥) .

أمام هذه الاتهامات لأبي العباس السفاح ، يقف مؤرخ آخر ، هو صاحب كتاب الإمامة والسياسة ، فيدافع عنه ، ويبرِّؤه من جريمة ما ارتكبه عبد الله بن علي ، ضد بني أمية ، في الشام ، أو في فلسطين ، ويذكر أن أبا العباس السفاح لم يكن راضيا عما كان يفعله عمه عبد الله ببني أمية ، أو على الأقل بالصالحين منهم ، ممن ليس لهم أطماع سياسية ، فعندما علم بقتل ، واستصفاء أموال عبد الواحد بن سليمان ، الذي

(٧٩) الدينوري : الأخبار الطوال ، ٣٦٦ .

(٨٠) ابن خياط : تاريخه . ٤٠٤ .

(٨١) محمد بن حبيب : المُخَبَّر ، ٤٨٦ ، وابن خياط : تاريخه ، ٤٠٣-٤٠٤ .

(٨٢) البدء والتاريخ ، ٧٢/٦ .

(٨٣) الفتوح ، ١٩٣/٨ .

(٨٤) المصدر نفسه ، ١٩٣/٨ .

(٨٥) تاريخه ، ٣٥٦/٢ .

اشتهر بغزارة علمه ، وكان من المجتهدين المنقطعين للعبادة ، قال : رحم الله عبد الواحد ، ما كان والله ممن يُقتل لغائلة ، ولا ممن يشار إليه بفاحشة ، وما قُتلته إلا أمواله ، لولا أن السفاح عمي ، وذمامه ورعاية حقه على واجب ، لأقذت منه ، ولكن الله طالبة ، وقد كنت أعرف عبد الواحد براً تقيّاً ، صوّماً قوّاماً^(٨٦) ، يقول صاحب كتاب الإمامة والسياسة : ثم كتب إلى عمه ، ألا يقتل أحداً من بني أمية ، حتى يعلم به أمير المؤمنين ، فكان هذا أول مانقم أبو العباس على عمه السفاح^(٨٧) .

يروى البلاذري ، في أنساب الأشراف قائلا : «حدثني بكير ، عن الهيثم عن عياش ، قال : كان أبو العباس أسخى الناس ، ما وعد عِدَةً قط فأخبرها عن وقتها ، أوقام من مجلسه حتى يقضيها ، ولقد سمعناه يقول : إن المقدرة تُصغرُ الأمية ، لقد كنا نستكثر أموراً ، أصبحنا نستقلها لأخس من صَحَبنا ، ثم يسجد لله شكراً»^(٨٨) .

وفي نص آخر لابن الأثير يقول فيه : «نظر السفاح يوماً في المرآة ، وكان أجمل الناس وجهها ، فقال : اللهم إني لا أقول ، كما قال سليمان بن عبد الملك : أنا الملك الشاب ، ولكني أقول : اللهم عَمَّرْني طويلاً في طاعتك مُتَّعاً بالعافية»^(٨٩) .

ورغم ذلك فإن أبا العباس . هو الذي وجّه عمه عبد الله بن علي إلى بلاد الشام لإخادع المقاومة ، وتتبع مروان بن محمد ، ولا شك أنه كان يعلم مُسَبِّقاً قسوةَ عمّه ويطشه لذا اختاره لمثل هذه المهمة الصعبة التي كانت تحتاج في تلك الفترة بالذات - إلى شخصية مثل شخصيته ، يقبض على زمام الأمور بيد قوية ، ثم إن أبا العباس ، وهو الخليفة ، يُفترض فيه أن يكون على علم بما كان يقوم به عمه ، وهو الخليفة أيضاً يفترض فيه القدرة على وقف تلك المذابح ، ولكنه ربما تغاضى عنها على الأقل مع من كان يخشى منهم ، من بني أمية ، لأن الموقف كان يملي عليه ذلك ، وربما أن عبد الله ابن علي ، قد استغل ذلك التغاضى ، فأسرف في القتل ، وفي تتبع الأمويين ، وعند

(٨٦) ١٢٣-١٢٢/٢ .

(٨٧) ١٢٣/٢ .

(٨٨) ١٦٦/٣ .

(٨٩) الكامل في التاريخ ، ٤٦٠/٥ .

تنبه أبو العباس ، لإسراف عمه ، كان له ذلك الوقف ، الذي تحدث عنه صاحب كتاب الإمامة والسياسة إن صحت روايته .

كانت صورة عبد الله بن علي قائمة في كثير من المصادر التاريخية فهو لا يذكر ، إلا ويذكر معه العنف ، والقسوة ، وخاصة في هذه الفترة من تاريخه ، حتى أنه أتهم بتعطيل الشعائر في أحد جوامع دمشق ، عندما اتخذ اصطبلًا لخيلة مدة سبعين يومًا^(٩٠) ، وهو الذي يُقاتل من أجل دولة شعارها الحكم ، والعمل بما أنزل الله سبحانه وتعالى ، وأيضًا ما قيل عن انتهاكه حرمة الموتى ، حيث أمر بنش قبور بني أمية ، وجمع عظامهم ، وحرّقها ، ولم يكتف بذلك ، بل دق رمادها وذراه مع الرياح ، لماذا؟ وما الفائدة التي سيعود بها للدولة العباسية من وراء نبش وحرق تلك العظام البالية ؟

أما لماذا ؟ فسؤال أجاب عنه بعض المصادر التاريخية^(٩١) ، وهو التشفي والانتقام ، وبث الرعب في نفوس المعارضين ، أما ما الفائدة من ذلك ؟ فسؤال لا تزال إجابته قائمة ، وربما أطاحت عدم الإجابة عليه ، بما يُقنع الباحث المدقق ، بكل الفرضيات ، التي يسعى لها بعض المؤرخين ، من خلال بث مثل هذه الدعاية المثيرة للآلم ، والاشتمزاز في نفس الوقت ، ونسوق فيما يلي صورًا من تلك الانتهاكات ، التي قام بها عبد الله بن علي ، حسب ما ذكرته المصادر التاريخية : يذكر البلاذري^(٩٢) ، أن عبد الله بن علي ، أمر بنش قبر معاوية فما وجد إلا خطأ ، ونش قبر ابنه يزيد ، فوجد سلاميات^(٩٣) ، رجله ، أما قبر عبد الله بن مروان فلم يجد فيه غير بعض شئون^(٩٤) رأسه ، نبش قبري الوليد ، وسليمان ابني عبد الملك ، فلم يجد فيهما غير رفات ، وعندما نبش قبر هشام بن عبد الملك ، وجده سليمًا إلا شيئًا من أنفه ، وشيئًا

(٩٠) ابن عساکر : تاريخ دمشق ، ٣٨٩/١٥ - ٣٩٠ .

(٩١) راجع ، اليعقوبي : تاريخه ، ٣٥٦/٢ ، وابن عساکر : المصدر السابق ، ٣٩٠/١٥ .

(٩٢) أنساب الأشراف ، ١٠٤/٣ .

(٩٣) سلاميات رجله : أي أصابع قدمه ، راجع (ابن منظور : لسان العرب ، ١٩٠/١٥) .

(٩٤) شئون رأسه : أي عظامه ، (المصدر نفسه ، ٩٦/١٧) .

من صِدْغِهِ ، لأنه طلي بالزئبق ، و الكافور ، وماء الفُؤة^(٩٥) ، أما قبر مسلمة بن عبد الملك فوجد فيه جمجمته ، فاتخذ عبد الله بن علي ، وأصحابه غرضاً حتى تناثرت ، ولم يتعرض لقبر عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، ويذكر أنه جمع ما في القبور ، وأحرقه .

ومن أشار إلى نبش قبور بني أمية من المؤرخين أيضاً ، ابن أعثم الكوفي ، فقد ذكر نبش قبر معاوية ، وابنه يزيد ، يقول ابن أعثم : «لعنه الله»^(٩٦) ، ومعاوية ابن يزيد ، ومروان بن الحكم ، وعبد الملك بن مروان ، فوجد جمجمته ، وأضلّاعه والوليد بن عبد الملك ، وجد فقرات ظهره ، ومسلّمة بن عبد الملك وجد صُلْبِهِ ، وبعض جمجمته ، وسليمان بن عبد الملك ، وجد في قبره عظماً واحداً ، والوليد بن يزيد بن عبد الملك ، ويزيد بن الوليد بن عبد الملك ، والوليد بن مسلمة ، وسائر بني أمية لم توجد في قبورهم ، غير العظام وبقي قبر عمر بن عبد العزيز سليماً ، لم ينبشه عبد الله بن علي ، وقد جمعت عظام بني أمية ، وأحرق^(٩٧) .

المقدسي في كتابه البدء والتاريخ : يذكر أن عبد الله بن علي نبش قبور بني أمية ، وأحرقهم ، وأحرق عظامهم بالنار ، يقول : «ولم يجد في قبر معاوية عليه اللعنة إلا خطأ أسود ، كأنه رماد ، ولا في قبر يزيد لعنه الله إلا فقار ظهره فأحرقه»^(٩٨) .

ابن الأثير أيضاً أشار إلى قضية نبش قبور بني أمية ، على يد عبد الله بن علي ، وأصحابه ، فذكر أيضاً أن قبر معاوية لم يوجد فيه غير خيط مثل الهباء ، ووجد في قبر ابنه يزيد حُطاماً كأنه رماد ، ووجد في قبر عبد الملك جمجمته ، إلا أن جثة هشام بن عبد الملك ، وُجدت صحيحة ما عدا أرنبة أنفه ، ويذكر ابن الأثير أن جثة هشام ضُربت ، وصُلبت وحُرق ، وذري رمادها في الريح^(٩٩) .

(٩٥) ماء الفُؤة، غُثْب مَعَمَّر ينبب في شواطئ البحر المتوسط ، سيقانه حُرّ متسلقة ، وبذوره حُرّ، تُعرَف بِفُؤة الصُّبَاغين ، ويُستخرج منها مادة تستعمل في صنع الحرير والصوف ، راجع (المعجم الوسيط ٧/٢) . .

(٩٦) كتاب الفتوح ، ١٩٤/٨ .

(٩٧) المصدر نفسه ، ١٩٣/٨ - ١٩٤ .

(٩٨) ٧٢/٦ .

(٩٩) الكامل في التاريخ ، ٤٣٠/٥ .

الأزدي في كتابه تاريخ الموصل ، ذكر أن عبدالله بن علي أمر عمرو بن تمام بنش قبور بني أمية ، فنش عمرو ، قبر هشام فوجده صحيحا ، فضربه ، ثم أحرقه ، ونش قبر سليمان فوجد صُلْبَه ، وأضلّاعه ورأسه ونش قبر مُسَلَمَة بِقُسْرَيْن ، فوجدت جمجته ، وأحرقت ، ونش قبر الوليد بدمشق فوجد شِقَّ رأسه ، ووجد في قبر معاوية عظما واحدا ، وفي قبر ابنه يزيد حطاما ، وخطأ كأنه رماد ، وتتبع قبور بني أمية ونَشَّها^(١٠٠) .

ابن الطقطقي أيضا تعرض لموضوع نش قبور بني أمية ، فذكر نش قبر معاوية ابن أبي سفيان ، حيث لم يوجد فيه إلا خطأ مثل الهباء ، وقبر ابنه يزيد الذي وجد فيه حطاما مثل الرماد^(١٠١) .

أما اليعقوبي فذكر مثل غيره أمر بنش القبور ، إلا أنه توقف عند نش قبر هشام ابن عبد الملك ، وقال : «ولما صار^(١٠٢) إلى رصافة ، أخرج هشام بن عبد الملك ، ووجده في مغارة على سريره ، وقد طُلي بهاء يُبْقِيه ، فأخرجه ، فضرِب ، وجهه بالعمود ، وأقامه بين العقابين^(١٠٣) ، فضرِب مائة وعشرين سوطا ، وهو يتناثر ، ثم جمعه فحرقه بالنار^(١٠٤) ، أما لماذا خُصَّ هشام بن عبد الملك بهذا النوع من التعذيب دون سائر بني أمية ؟ فسؤال أجاب عليه اليعقوبي ، وذكر أن عبدالله بن علي قال ، بعد أن صَبَّ جَمَّ غَضْبِهِ على جثة هشام ابن عبد الملك : «أن أبي^(١٠٥) ، كان يصلي يوما ، وعليه إزار ، ورداء ، فسقط عنه ، فرأيت في ظهره آثار السياط ، فلما فرغ من صلاته ، قلت «يا أَبَة جعَلني الله فداءك ، ما هذا ؟ فقال : إن الأحوال^(١٠٦) ،

(١٠٠) ١٣٨ .

(١٠١) الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية ١٥٢ .

(١٠٢) أي عبد الله بن علي .

(١٠٣) العقابين : جاء في لسان العرب (١١٢/٢) : العقابان ، خَشَبَتَان يَشْنَج الرجلُ بينهما الجُلْد .

(١٠٤) تاريخه ، ٣٥٦/٢ - ٣٥٧ .

(١٠٥) أي على بن عبد الله .

(١٠٦) أي هشام بن عبد الملك ، وقد جاء في وصفه ، أنه كان أحولا ، راجع (صلاح الدين المنجد : معجم بني أمية ،

(١٨٤) .

أجذني ظلماً ، فضر بني ستين سوطاً ، فعاهدت الله أن ظفرت به ، أن أضربه بكل سوط سوطين»^(١٠٧) .

وعندما نستشهد برأي مؤرخ آخر من تحدث عن موضوع نبش العباسيين لقبور بني أمية ، وهو الحافظ بن عساكر ، نجده يذكر نبش قبور معاوية ويزيد ، وعبد الملك ، وهشام بن عبد الملك ، الذي وجدت جثته سليمة ماعداً أرنبة أنفه ، فضربت بالسياط ، وصُلبت أياماً ، وأحرقت بالنار ، ودُقَّ رمادها ، ونُخل ، وذُرِيَ في الريح ، ويسوق ابن عساكر الخبر التالي ، نقلاً عن محمد بن سليمان بن عبد الله النوفلي ، معللاً ما خُصَّ به هشام من التعذيب ، ويقول : كتب هشام ابن عبد الملك ، إلى عامله على المدينة^(١٠٨) ، أن يشخص إليه محمد بن علي بن عباس ، فأشخصه إليه ، وعاش في كنفه ، واشترى جارية أنجبت له ابناً ، ولكنه تَبَرَّأ منه ، واتهمها بحمله سِفاًحاً ، واحتكمت إلى هشام بن عبد الملك ، الذي أمر قاضيه أن يحكم بينهما ، فحكم القاضي بأن الابن ليس لمحمد ، وفرق بينها ، وعندما بلغ الولد سبع سنوات ، دس إليه محمد بن علي مَن قَتَله ، فاستعذت أُمُّه بهشام بن عبد الملك ، ولكن محمد أنكر علاقته بقتله ، حتى شهد عليه أحد المزارعين ، من سكان المَزة ، فدلهم على المكان ، الذي قُتل فيه الصبي ، فقال هشام لمحمد بن علي : «لولا أن الأب لا يُقاد بالابن لأَقْدُتْكَ» ، ثم ضربه سبعمائة سوط ، ونفاه إلى الحميمة ، يقول ابن عساكر ، نقلاً عن محمد بن سليمان بن عبد الله النوفلي : «فكان الذي حمل عبد الله بن علي أن يعمل بجثة هشام ما عمل بأخيه محمد بن علي ، ثم دفع عبد الله ابن علي إمراً هشام إلى قوم من الخراسانية ، حتى مروا بها إلى البويرة ، ماشيةً ، حافيةً ، حاسرةً ، فما زالوا يَزْنُون بها ، ثم قتلوها ، وهي عبدة ابنة عبد الله بن يزيد ابن معاوية ، صاحب الخال»^(١٠٩) .

(١٠٧) تاريخه ، ٣٥٧/٢ .

(١٠٨) لم يذكر ابن عساكر اسم ذلك العامل ، وبالرجوع لابن خياط في تاريخه (٣٥٧) نجد أن عمال هشام على المدينة هم : محمد بن هشام بن إسماعيل حتى سنة (١١٤هـ / ٧٣٢م) ثم خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم حتى سنة (١١٩م / ٧٣٧م) ثم صل بالناس أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم حتى قدم محمد بن إبراهيم بن هشام سنة (١١٩هـ) فلم يزل والياً عليها ، حتى مات هشام .

(١٠٩) تاريخ دمشق ، ٣٩٠/١٥ .

وهكذا تحدثت بعض المصادر التاريخية عن قضية نبش العباسيين لبقور بني أمية ، وعندما ندقق النظر ، نجد أن كثيرا من الروايات حول هذا الموضوع ، ذات انتفاءات ، ومصادر علوية ، مثل اليعقوبي ، وهو أحد موالي بني هاشم^(١١٠) ، ومن المعتنقين المتعصبين للمذهب الشيعي ، الاثنا عشري^(١١١) ، حتى أنه فقد حياته بسبب تعصبه لمذهبه^(١١٢) ، ومثله في التشيع أيضا ابن أعثم الكوفي ، الذي قال عنه ياقوت الحموي ، في معجم الأدباء : «كان شيعيا ، وهو عند أصحاب الحديث ضعيف»^(١١٣) ، وكذلك أحمد بن سهل البلخي ، وُصِفَ بأنه صاحب ميول علوية^(١١٤) ، ولا أدل على ذلك من لعنه لمعاوية رضى الله عنه ، وابنه يزيد ، عندما تحدث عن نبش قبريهما^(١١٥) ، أما ابن الطقطقي ، وهو ممن ردد رواية نبش العباسيين لبقور بني أمية ، فقد جاء في ترجمته : محمد بن علي بن محمد بن طباطبا العلوي ، أبوجعفر ، مؤرخ من أهل الموصل ، ينحدر من فرع الحسن ، وإبراهيم طباطبا ، كان أبوه نقيبا للطالبيين ، في الكوفة ، وبغداد ، وخلفه ابنه محمد في نقابة الطالبيين في الحلة ، والنجف ، وكربلاء سنة ٦٧٢ هـ (١٢٧٣ م) ، تزوج بإمرأة فارسية ، من خراسان^(١١٦) .

وإذا كان هؤلاء المؤرخون يسوقهم ، فيما ذكروه ميلهم ، وتعصبهم المذهبي ، فماذا يمكن أن يُقال عن مؤرخين ، لم تُعرف عنهم ميول علوية ، أو انتفاءات مذهبية ، يمكن أن تؤثر على نظرتهم ، إلى الاحداث وتفسيرها ، بل ربما كان بعضهم ممن عاش في كنف العباسيين ، وغمره فضْلُهم ، وعلى رأس هؤلاء البلاذري ، الذي وصل إلى

(١١٠) ياقوت الحموي : معجم الادباء ، ١٥٣/٥ - ١٥٤ .

(١١١) الدّوري : بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ، ٥٣ ، وياسين إبراهيم الجعفري : اليعقوبي ، المؤرخ والجغرافي ، ٢٩ .

(١١٢) المرجع نفسه ، ٢٩ .

(١١٣) ٢٣١ - ٢٣٠/٢ .

(١١٤) المصدر نفسه ، ٨٤/٣ - ٨٥ .

(١١٥) راجع صفحة ٢٩ من البحث .

(١١٦) الزركلي : الاعلام ، ١٧٤/٧ ، وكحاله : معجم المؤلفين ، ٥١/١١ ، وهيوار : ابن الطقطقي (بحث نشره في دائرة المعارف الاسلامية) ٢١٨-٢١٧/١ .

مكانة مرموقة في البلاط العباسي ، حيث عيّنه الخليفة المتوكل على الله (٢٣٢-٢٤٧هـ / ٨٤٦-٨٦١م) ، مستشاراً له ، كما بلغ حصوة كبيرة لدى الخليفة المستعين بالله (٢٤٨-٢٥١هـ / ٨٦٢-٨٦٥م) ، حتى أصبح أحد خلصائه^(١١٦) ، وفوق هذا فإن جُلّ مادة البلاذري العلمية عن بني أمية ، وخاصة في كتابه أنساب الأشراف ، استقاها من شيخ الإخباريين ، أبي الحسن على المدائني (١٣٢-٢٢٤هـ)^(١١٧) ورغم ما يُقال عن شيوخ المدائني ، الذين عُني البلاذري بذكرهم أنهم كانوا من الضعفاء^(١١٨) ، إلا أنه كان موضع ثناء كُتّاب السّير ، والأنساب ، فقد قال عنه السّمعاني : «كان عالماً بأيام الناس ، وأخبار العرب ، وأنسابهم ، عالماً بالفتوح ، والمغازي ، ورواية الشعر ، صدوقاً في ذلك^(١١٩)» . كما قال عنه الذهبي : «مصدقا فيما ينقله ، عالي الإسناد»^(١٢٠) .

نقل البلاذري في كتابه أنساب الأشراف (١٤١٦) رواية عن المدائني في تاريخ الأمويين^(١٢١) فقط ، ولكن تبقى مع ذلك بعض الروايات التي لم يسندوها للمدائني ، أو لغيره ممن اعتمد عليهم ، وأحداث نبش قبور بني أمية هي من هذه الروايات^(١٢٢) ، فهل هي معلومة خاصة به ، لم ير غضاضة في ذكرها من غير إسناد ؟ أم أنها رواية ليست من الأهمية ما يدعوه إلى ذكر إسنادها ؟ ثم هل البلاذري تأثر بغيره بما رده الشيعة ، أو المتعاطفين معهم ؟ أم أن البلاذري أشفق على بني أمية من هول ما أصابهم علي يد العباسيين ، فدوّن ، مثل هذه الرواية في كتابه ؟ ، أم أن نبش قبور بني أمية حقيقة وصل البلاذري إلى درجة من الجرأة ، والموضوعية جعلته لا يتردد في ذكرها ، رغم ما حباه به بنو العباس ، من مكانة وتقدير ؟ أسئلة يعوزنا الدليل للإجابة عليها .

(١١٧) محمد جسام حمادي المشهداني : موارد البلاذري ، عن الاسرة الأموية ، ١/٥٧-٦٠ .

(١١٨) بدري محمد فهد : شيخ الاخباريين أبو الحسن المدائني ، ١٣٤ .

(١١٩) المشهداني : المرجع السابق ، ١/١٦٧ .

(١٢٠) الأنساب ، ١٢/١٤٧ .

(١٢١) سير أعلام النبلاء ، ١٠/٤١٠ .

(١٢٢) المشهداني المرجع السابق ، ١/٥٦ ، ١٩٦ .

(١٢٣) المرجع نفسه ، ٢/٧٥٥ .

ومما يزيدنا حيرة ، هو أنَّ البلاذري لم يكن الوحيد من المؤرخين ، الذين يمكن القول عنهم بأن لديهم قسْطاً من الحيادية التاريخية ، بل شاركه في ذلك مؤرخون آخرون ، أمثال ؛ أبوزكريا يزيد بن محمد الأزدي ، صاحب تاريخ الموصل ، الذي أثني عليه الذهبي في تذكرة الحفاظ ، وعدة أحد الحفاظ القضاة الأئمة ، وقال : «استفدت كثيراً من تاريخه»^(١٢٤) ، وكذلك الحافظ بن عساكر أورد رواية مطولة أسندها إلى محمد بن سليمان بن عبدالله النوفلي وهو حسب رواية ابن عساكر ممن عايش نهاية سقوط الأمويين ، بل وشارك في أحداثها مع عبدالله بن علي^(١٢٥) ، ذكر في تلك الرواية قصة نبش قبور بني أمية ، بل وتفرّد عن غيره بذكر اتّخاذ جامع دمشق اصطبلًا لحليل عبد الله بن علي مدة سبعين يوماً^(١٢٦) ، كما حاول إيجاد تفسيرٍ لنقمة عبدالله بن علي من جثة هشام بن عبدالملك^(١٢٧) ، وعندما نوّثق ابن عساكر ، نجده أيضاً موضع تقدير المهتمين بالرجال ، وثنائهم ، يقول عنه ابن خلكان : «كان محدّث الشام ، ومن أعيان الفقهاء الشافعية ، غلب عليه الحديث ، واشتهر به»^(١٢٨) ، كما أثني على كتابه ، تاريخ دمشق^(١٢٩) ، وقد ترجم له الذهبي ترجمة مطولة ، في كتابه سير أعلام النبلاء ، ومما قاله عنه : «كان فهِماً ، حافظاً ، متقناً ، ذكياً ، بصيراً بهذا الشأن ، لا يُلحق شأوه ، ولا يُشَقَّ غُبارُ ، ولا كان له نظير في زمانه»^(١٣٠) ، وأورد عدة روايات ، تدل على فضله ، وعلمه ، وسلامة عقيدته ، وحسن أخلاقه^(١٣١) . كما يقول عنه ابن كثير : «صنّف تاريخ الشام في ثمانين مجلدة ، فهي باقية بعده مُخلّدة ، وقد نذر على من تقدّمه من المؤرخين ، وأتعب من يأتي بعده من المتأخرين ، فحاز فيه قَصَبُ السُّبْق ، ومن نظر فيه ، وتأمّله ، رأى ما وصفه فيه وأصله ، وحكم بأنه فريد دهره ، في التواريخ ، وأنه الذروة العليا من الشارِخ»^(١٣٢) .

(١٢٤) ٨٩٤/٣ .

(١٢٥) تاريخ دمشق ، ٣٨٩/١٥ .

(١٢٦) المصدر نفسه ، ٣٨٩/١٥ - ٣٩٠ .

(١٢٧) المصدر نفسه : ٣٩٠/١٥ .

(١٢٨) وفيات الأعيان : ٣٤٨/٣ .

(١٢٩) المصدر نفسه ، ٣١٠/٣ .

(١٣٠) ٥٥٦/٢٠ .

(١٣٢) البداية والنهاية ، ٢٩٤/١٢ .

(١٣١) المصدر نفسه ، ٥٥٤/٢٠ - ٥٧١ .

قد يقال إن ابن عساكر شاميٌّ لا يخلو من نزعه عطف مع بني أمية ، الذين اتخذوا من بلاد الشام مَقَرّاً لحكمهم ، وقد يُقال أيضا ، أن رواية نبش قبور بني أمية ، وما قام به عبدُ الله بن علي من أعمال في بلاد الشام ، أسندها إلى محمد بن سليمان ابن عبد الله بن علي ، وهو فيما يبدو علوي النزعة ، وقد اهتم بعضُ العلويين برواياته ، ونقل عنه مثل : يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي ، وسليمان بن جعفر ابن سليمان بن علي ، والعباس بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب^(١٣٣) . مما يجعل الباحث يتردد في قبول روايته :

ومن أشار الى تلك القضية أيضا ابن الأثير ، صاحب السفر المعروف الكامل في التاريخ ، وهو ممن حظي بمكانه طيبة لدى الباحثين قديما وحديثا ، إلى درجة يمكن القول ، بأن بعض من جاء بعده من مؤرخين كانوا عالة عليه ، كما كان هو عالة على الطبري ، فيما أرخه في تاريخ الرسل والملوك ، أثنى عليه ابن خلكان (٦٠٨-٦٨١هـ / ١٢١١-١٢٨٢م) ، وهو ممن التقى به ، وتردد على داره في حلب يطلب عِلْمَه سنه ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) ، قال عنه : « . . . إماماً في الحديث ، ومعرفة ، وما يتعلق به ، حافظاً للتواريخ المتقدمة ، والمتأخرة ، خبيراً بأنساب العرب ، وأخبارهم ، وأيامهم ، ووقائعهم^(١٣٤) » ، ترجم له الذهبي في سير أعلام النبلاء ، وقال عنه : « كان إماما ، إخباريا ، أدبيا ، متَفَنِّناً ، رئيسا ، محتشبا ، كان مَنَزَلُه مأوى لطلبة العلم^(١٣٥) » ، وقد وصف ابنُ كثير كتابَه الكامل في التاريخ بأنه من أحسن كتب التاريخ حوادث^(١٣٦) .

ومما يزيد الأمر غموضا ، في قضية نبش قبور بني أمية ، وإحراق رُفَاتِهِم بالنار وذره مع الريح ، هو إغفال ، أو سكوت بعض المؤرخين عن ذكرها ، خاصة ممن نال شهرة واسعة لدى الباحثين السابقين ، أو المُحَدِّثِينَ وَعَوَّلُوا عليهم في كثير من موضوعاتهم التاريخية ، وعلى رأس هؤلاء خليفة بن خياط ، في تاريخه المعروف ، ومحمد بن جرير

(١٣٣) ابن عساكر: تاريخ دمشق ، ٣٨٩/١٥ .

(١٣٤) وفيات الأعيان ٣/٣٤٨ .

(١٣٥) ٣٥٤/٢٢ .

(١٣٦) البداية والنهاية ، ١٣/١٣٩ .

الطبري في سفره المعروف بتاريخ الرسل والملوك ، ويتسائل المرء عن سبب ذلك ؟ هل القصة كانت غير صحيحة ، وأنها من نسج خيال أعداء العباسيين ؟ أما أن معلوماتها كانت من القصور ، بحيث لم تكن لديها إحاطة بمثل هذه القضية ؟ وهو أمر بعيد الوقوع نظراً لما توفر لهما من دقة في تتبع الأحداث ، واستقصائها ، خاصة الطبري ، أم أنها مالا العباسيين ، وَخَشْيَا من بطشهما ، وقد عاش كلُّ منهما ، ودَوَّن تاريخه في عصر العباسيين ، كل هذا يُلقي ظلالاً من عدم الوضوح كي يصل الباحث إلى تفسير مقبول لهذه الاحداث ، ولكن رغم ذلك نستطيع أن نتوقف في زوبعة هذه الأحداث ، عند موضوع هشام بن عبد الملك ، فقد ذُكر أكثر من مصدر ، أنه الوحيد ، من بني أمية الذي وجدت جثته سليمة ، ما عدا أرنبة أنفه ، وجزء من صدغة ، لأن جسمه قد طلي بهاء يُبقيه سليماً^(١٣٧) . وهي قضية ، لم تتوفر لها العناصر الكافية ، لقبولها ؛ لماذا ، وقد عُرِفَت تلك المادة التي ذكرها البلاذري ، وهي مركبة من الزئبق والكافور ، وماء الفَوَّه ، لماذا لم يطل بها بقية خلفاء بني أمية ؟ وهي التي أبقت جثة هشام سليمة طيلة ثمان سنوات ، منذ وفاته سنة (١٢٥هـ / ٧٤٢م) ، حتى أُسْتُخْرِجَت سنة ١٣٢هـ ، ثم إن ثمان سنوات كفيفة بأن تجعل الجسم يتحلَّل ، ويختلط بالتراب ، إلا ما شاء الله من العظام ، وما يزيد المرة اقتناعاً بضعف عناصر القوة لهذه القصة هو ما ذكره اليعقوبي أن جثة هشام وُجِدَت على سرير في مغارة^(١٣٨) ، ولماذا يخفي المسلمون خليفتهم في مغارة ، وأيضاً على سرير ، وعدا عما في ذلك من مخالفة تعاليم الدين الحنيف أيضاً فيه امتهان لخليفة المسلمين ، ولماذا هذا الامتهان ؟ خاصة وأن مصادر أخرى ذكرت أنه توفي بالذبح^(١٣٩) ، يوم الاربعاء لثلاث ، أو لست خلون من ربيع الأول ، أو ربيع الآخر ، من سنة (١٢٥هـ / ٧٤٢م) على اختلاف بين الروايات ، صلى عليه خليفته ، الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، أو ابنه

(١٣٧) راجع صفحة ٣٠٣ من البحث.

(١٣٨) تاريخه ، ٣٥٦/٢ - ٣٥٧ .

(١٣٩) يذكر الذهبي أن علته التي أودت به ، وهي ورم في الحلق ، يقال له (الحرزون) سير أعلام النبلاء ،

مَسْلَمَة بن هشام ، ودُفِنَ بالرّصافة^(١٤٠) ، أى أنه صُلّي عليه ، ودُفِنَ حَسَبَ السّنة ، وشهد ذلك جمعٌ من المسلمين .

هذا جانب ، أما الجانب الآخر ، فهو ما يتعلق بالسبب الذي جعل عبد الله بن علي ينتقم منه على تلك الصورة المفزعة ، فقد اختلفت المصادر اختلافاً أقل ما يقال عنه أنه يثير شكوكاً في صحة رواياتها ، فلليعقوبي يذكر أن ذلك كان بسبب ما فعله هشام مع والد عبد الله ، (علي بن عبد الله) عندما ضربه ستين سوطاً ظلماً ، حتى تركت الشياطُ أثراً واضحاً في جسمه ، دون أى إيضاحات أخرى عن سبب ضربه ظلماً^(١٤١) ، أما ابن عساكر ، فقد أورد رواية أسندها إلى محمد بن سليمان النوفلي ، تدور أحداثها حول تلك الجارية التي اشتراها محمد بن علي ، فوطئها ، فانجبت ولداً ، فأنكره ، واتهمها بالسفاح إلى آخر القصة ، التي سبق بسطها^(١٤٢) . وهي رواية يسودها الاضطراب والتشويه ، فمن هي تلك الجارية التي استأثرت باهتمام هشام على تلك الصورة ، وقد حكم قاضية لمحمد بن علي ، ولماذا لم يقيم الحد على الجارية ؟ ولماذا يقول لمحمد بن علي : «لولا أن الأب لا يُقَاد بالابن لأقدتك» ، ثم لماذا يقتل محمد بن علي الغلام بعد أن بلغ سبع سنين ؟

عندما نتبع هذه المسألة عند البلاذري في كتابه أنساب الأشراف^(١٤٣) ، وعند صاحب كتاب (الدولة العباسية ، وفيه أخبار العباس وولده) لمؤلف مجهول من القرن الثالث الهجري^(١٤٤) ، وهما من أدق وأوسع من كتب عن ملابسات هذه الفترة ، وعن علاقة بني أمية بالعباسيين (عبد الله بن عباس ، وعلي بن عبد الله بن عباس ، ومحمد ابن علي بن عبد الله بن عباس) نجد أن النقرة بين هشام بن عبد الملك ، ومحمد ابن علي ليست بسبب ما أنجبته تلك الجارية سفاحاً ، بعد أن تزوجها ، وما أحاط بها

(١٤٠) خليفة بن خياط : تاريخه ، ٣٥٦-٣٥٧ ، والطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ٢٠٠/٧-٢٠١ ، وابن كثير : البداية والنهاية ، ٣٥٤/٩ .

(١٤١) راجع صفحة ٣٠٥ من البحث .

(١٤٢) راجع صفحة ٣٠٥ من البحث .

(١٤٣) ٨٥-٨٤/٣ .

(١٤٤) ١٦٥ وما بعدها .

من ملابسات ، وإنما كانت بسبب استرابة هشام في نشاط محمد بن علي السياسي ، وما وصلته من أخبار عن تزايد ذلك النشاط ، وتزايد أتباعه ، وحصوله على أموال كثيرة منهم ، ويبدو أن ذلك النشاط كان من الوضوح إلى درجة أن محمد بن علي لم ينكره وكان هشام ، كلما همَّ بحبسه مع بنيه أمسك ؛ خوفاً من قطيعة الرِّحم ، وإثارة الفتنة ، فعمل على مداراته ، ومصانعته حِفاظاً علي وحدة المسلمين ، والمرة التي حاول فيها هشام بن عبد الملك أن يُنفذ العقوبة في محمد بن علي ، كانت بسبب حصوله على مائة ألف درهم اقتطعها بعض الولاة الذين كانوا يتعاطفون مع العلويين ، ويشايعونهم ، من محصول الخراج . وهي حق لبيت مال المسلمين ، فغضب هشام حرصاً على حقوق الرعية ، وأمر محمد بإعادة المال ، الذي حصل عليه دون وجه حق ، وحتى يرغمه على ذلك إقامة في الشمس ، وعذِّبه ولكن أتباعه ممن كانوا في عسكر هشام ، مثل عيسى بن إبراهيم السَّراج وهو من الكوفة ، ومن رؤساء الشيعة ، كان ذا غنى ، ويسار وكان يعمل في تجارة السروج ، ويعاونه أبو مسلم الخراساني ، الذي اجتمع مع نفر من أغنياء الشيعة ، ووجهائهم ذهبوا إلى سالم ، كاتب هشام فضمنوا ما على محمد بن علي ، وجعلوا يؤدون عنه الأول فالأول ، حتى أديت المائة ألف ، فكلَّم هشام ، وأمر بإطلاق سراحه ، وعاد إلى الحميمة ،

كما أننا نجد أن من ردّدوا تلك الروايات ، كاليقوي ، وابن عساكر ، قد خلطوا بين هشام بن عبد الملك ، والوليد بن عبد الملك ، كما أنهم خلطوا بين محمد ابن علي ، ووالده علي بن عبد الله ، وخلاصة تلك القصة كما ذكرها البلاذري ، وقد أسندها إلى عباس بن هشام الكلبي ، عن أبيه ، عن جده ، أن علياً بن عبد الله ابن عباس (٤٠-١١٧هـ / ٦٦٠ - ٧٣٥م)^(١٢٥) ، نال حظوه عند عبد الملك بن مروان ، فقرّبه وأكرمه ، حتى طلق عبدُ الملك زوجته «أم أبيها»^(١٢٦) بنت عبد الله بن جعفر بن أبي طالب^(١٢٧) ، فتزوجها علي ، فتغير عليه ، يقول البلاذري : فبسط^(١٢٨) لسانه

(١٤٥) وقيل أن وفاته ، كانت سنة ١١٨هـ ، راجع أخبار الدولة العباسية ، ١٥٩ .

(١٤٦) اسمها لبابة ، المصدر نفسه ، ٣٨ .

(١٤٧) ذكر صاحب ، أخبار الدولة العباسية قصة طلاقها من عبد الملك ، وقال : «عض (أي عبد الملك) تفاعاً ،

ثم رمى بها إليها ، وكان أبهر ، فدعت بسكين ، فقال : ماتصنعين بها ؟؟ قالت : أميط عنها الأذى ، فطلقها

«راجع ص ١٣٨-١٣٩ . (١٤٨) أي عبد الملك بن مروان . (١٤٠٩) .

بذقه ، وقال : إنما صلاته رياء ، وكان الوليد يسمع ذلك من أبيه ، فلما ولي أقصاه ، وأعابه ، وتجنى عليه ، حتى ضربه وسيره^(١٤٩) .

أما صاحب أخبار الدولة العباسية ، فقد ذكر أنه بعد موت عبد الله بن عباس ، سنة (٦٨هـ/ ١٨٧م) أوصى ابنه علياً بأن يلحق بعبد الملك بالشام ، فلحق به عليٌّ فأكرمه ، وأجلسه معه على سريريه ، يقول : «ولم يزل علي بن عبد الله على حاله عند عبد الملك ، حتى هلك عبدُ الملك ، وولي ابنه الوليد بعده ، فلم يكن لعلي في إكرامه علي مثل ماكان عليه أبوه»^(١٥٠) .

كانت العلاقة بين الوليد بن عبد الملك ، وعلي بن عبد الله ، تسودها الريبة والشك ، إذ يذكر صاحب أخبار الدولة العباسية ، أن الوليد ضرب علياً بالسوط مرتين ، الأولى عندما تزوج بلبانة بنت عبد الله بن جعفر ، عندما طلقها عبد الملك ابن مروان ، وقال له : إنما تتزوج بأمهات أولاد الخلفاء لتضع منهم ، أما الثانية فكانت بسبب ماكان يبيته من دعاية بأن الخلافة ستكون في عقبه ، وقد زاد هذه المرة على ضربه بالسوط أن حمله على بغير وجهه إلى ذنبه ، وأمر من يصيح به هذا على ابن عبد الله الكذاب^(١٥١) .

استغلت تلك النفرة بين الرجلين ، وحدث من الملابس ما زادها رسوخاً وعمقا ، ومن ذلك ما ذكر أنه كان لعبد الله بن عباس جارية صفراء ، مولدة تخدمه ، فوقعها مرة ، ولم تحمل منه فاستنكحت عبداً من عبيد أهل المدينة ، فحبلت ، وجاءت بولد ، فأقام عليها عبد الله الحد ، واستعبد ولدها ، وسماه سليطاً ونشأ سليط ظريفاً جلداً ، وبعد وفاة عبد الله بن عباس ، قام بخدمة ابنه علي ، وعندما شخص علي إلى الشام تقرب سليط إلى بني أمية ، فنال حظوة ومكانة لديهم ، فأشار عليه الوليد بن عبد الملك أن يخاصم علياً بن عبد الله ، فخاصمه عند قاضي دمشق ، واحتال ، وأشهد شهوداً ، بأن عبد الله بن عباس قد اعترف ببنته ، فألحقه القاضي بعبد الله ابن عباس .

(١٤٩) أنساب الأشراف، ٧٦/٣ .

(١٥١) (١٣٨-١٣٩) .

(١٥٠) (١٥٥) .

لم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل تجاوز سليطاً إلى مطالبة علي بميراثه من أبيه ، فأذاه كثيراً في ذلك ، حتى تضايق علي ، وعرض عليه أحد أصحابه ، أن يقوم بقتله كي يريحه من شره ، فغضب عليه وزجره ، وكاد أن يقاطعه ، فأتبع مع سليط أسلوب الرفق واللين ، حتى كفَّ أذاه عنه ، ويبدو أن سليطاً كان يتردد بين فينة وأخرى على خدمته ، وبينما كان علي في بستان له يسمى «الجنينة» ، على بعد فرسخ من دمشق ، دخل عليه سليط ، ومعه صديق له اسمه (عمر الدَّن) فخدماه ، حتى أكل ، ثم قام علي يصلي ، فأنحاز عمر ، وسليط في ناحية من البستان ، يأكلان من الفاكهة ، فجري بينهما كلام ، وملاحظات فوثب الدن على سليط ، ودمغه بصخرة أودت بحياته ، فحفر له ، ودفنه ، وأعاناه على دفنه مولى لعلي اسمه (فايد أبو المهنا) ، وقيل (عروة أبوراشد) ، وكان علي بن عبد الله لا يعلم من ذلك شيئاً ، لأنه كان منقطعاً لصلاته^(١٥٢) . وكان لسليط صاحب عرف دخوله بستان علي بن عبد الله ، وعند فقد سليط ، اشتكت أمه إلى الوليد بن عبد الملك ، وذكرت له أن ابنها قُفِدَ في بستان علي ابن عبد الله ، فطالبه الوليد بذلك ، فأنكر ، وأمر بأن يُسَرَّحَ الماء في البستان ، فجري الماء ، وعندما وصل إلى المكان الذي دُفِنَ فيه سليط انخسف ، فأخرجت الجثة ، وأمر الوليدُ بتعذيب علي بن عبد الله فجعل على رأسه الزيت ، وعُرِّضَ للشمس ، وضُرب ستون سوطاً ، وألبس جُبَّةً صوف ، وحُبِسَ ، ومازال يُعَذَّبُ ، حتى كُلَّم الوليدُ بشأنه من قبل عباد بن زياد ، فأمر به ، ونفي إلى جزيرة دَهْلَك^(١٥٣) ، ثم أعيد قبل أن يصل إليها ، بعد أن كلمه سليمان بن عبد الملك ، ونزل الحجر^(١٥٤) وما زال به إلى أن توفي الوليد سنة (٩٦هـ / ٧١٤م) فأعاده سليمان بن عبد الملك (٩٦هـ -

(١٥٢) عرف عن علي بن عبد الله تعبد، وكثرة صلاته، حتى لقب بـ«ذي الثَّنَات» بسبب أثر السجود في جبهته، وأنفه، ويديه، راجع (البلاذري: أنساب الأشراف) ٧١/٣ .

(١٥٣) دَهْلَكُ : جزيرة في البحر الأحمر (الْقَلْزَم)، تقابل سواحل اليمن، وهي حصن لمن ملك ياباني تهامة . راجع : (الهمداني : صفة جزيرة العرب، ٦٨) . أما البكري في كتابه (معجم ما استعجم، ٥٥٥/٢)، فقد أطلق عليها اسم (دَهْلَك) وقال : «من قدم الماء على اللام فقد أخطأ» .

(١٥٤) هربلد ثمود ، يقع بين الحجاز والشام وهي قرية من وادي القرى . (البكري : المصدر السابق، ٤٢٦/١) (والقزويني : آثار البلاد وأخبار العباد، ٩٠) .

٩٩هـ / ٧١٤ - ٧١٧م) إلى دمشق ، ثم انتقل إلى الشَّراء^(١٠٦) بعد ذلك^(١٠٧) ، وقد أشار صاحب كتاب أخبار الدولة العباسية إلى هذه القصة مع بعض الاختلافات ، وإن كان أقل تفصيلاً من البلاذري ، إذ لم يُشر إلى حكم قاضي الوليد ، بإلحاق سليط بعبد الله بن العباس ، كما لم يشر إلى تفاصيل قتل سليط ، وإنما اكتفى بقوله : «زعم الناس أن سليطاً قُتل» ، كما أنه ذكر أن بني هشام اجتنبت علياً بن عبد الله ، خوفاً من الوليد ، وذكر أنه أُقيم في الشمس ، حتى جاءه عبد الله بن عبد الله بن الحارث ، فألقى عليه مطرقة وحمله إلى داره ، وعالجه ، وبقي عنده ، حتى شفى ، ثم أخرجته الوليد إلى الحميمة ، وقال له «لا تجاورني بدمشق فاضطغن عليُّ بن عبد الله ما فعل به ، حتى كان أمره ما كان»^(١٠٧) .

عاش علي بن عبد الله ، حتى خلفه هشام بن عبد الملك ، حيث توفي سنة ١١٧هـ وقيل ١١٨هـ ، على اختلاف بين الروايات ، أي بعد اثنتي عشرة سنة ، من تولي هشام بن عبد الملك الخلافة ، وقد عرفنا من رواية البلاذري ، المعاملة الودية التي عامله بها خليفة الوليد بن عبد الملك ، سليمان بن عبد الملك .

وكذلك عومل في عهد هشام بن عبد الملك ، روى صاحب أخبار الدولة العباسية ، عن عبد الله بن هارون بن موسى ، قال : حدثني أبي عن جدي عن أبيه محمد بن عبد الله قال : حضرت عند هشام بن عبد الملك ، وفتح البابين ، ووضع الغداء ، فدخل عليه آذنه ، فقال : يا أمير المؤمنين الباب رجل على برذون له ، لا يدخل إلا أن تأذن له . قال : ويلك ! ومن هو ؟ إني لأدرك له ، فإذا علي بن عبد الله ابن عباس ، فساعة دخل قام إليه ، ثم قال : يا معشر قریش ، قوموا إلى سيدكم ، هذا يرتفع ، من حيث يُتضع الناس ، ثم سأله حوائجه فقضى له أربع حوائج ، لها قيمة عظيمة^(١٠٨) .

(١٠٥) الشَّراء: صَفَحَ بالشَّام، بين دمشق والمدينة، من قُرَام الحَمِيمَةِ التي كان يسكنها أبناء علي بن عبد الله ابن عباس، أيام بين مروان (ياقوت: معجم البلدان، ٣/٣٣٢).

(١٠٦) البلاذري : أنساب الأشراف، ٣/٧٦-٧٨ .

(١٠٧) ص ، ١٤٩-١٥٠ .

(١٠٨) ص ١٤١ .

يمكننا القول بعد هذا العرض أن مذكره ابنُ عساكر حول هذه القضية ، الهامة قد خالطه الوهم ، وهو وإن كان له بعض الأساس ، إلا أن شخصيات الحادثة ، وتاريخها ، وتفصيلها مختلفة ؛ تلك الجارية كانت لعبد الله بن عباس وتَحْمَلُ وَرْدَ مشكلاتها ابنه علي بن عبد الله بن عباس ، في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك ، الذي تربطه به علاقة غير ودية . كما أن هشام بن عبد الملك ، ومحمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، بعيدين عن هذه القضية ، ويراود الباحث شكٌّ في أن قصة العثور على جثة هشام سليمة ، وتمثيل عبد الله بن علي بها على تلك الصورة ، وماهي إلا خلطٌ ووهم ، أودعاية شارك في صنعها بعض العلويين أو ممن لديهم ميول علوية ، خاصة ، وأن هشام بن عبد الملك موقف مع أحد زعمائهم ، وهو زيد بن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب رضى الله عنه . عندما أعلن الثورة ضده في الكوفة سنة (١٢١هـ / ٨٣٨م) مغترا بوعود شيعته الذين أعادوا إلى الذاكرة مأساة الحسين ابن علي رضى الله عنه في كربلاء سنة (٦١هـ / ٦٨٠م) وانسحبوا عنه ، عندما حُمي وطيس المعركة ، بل ربما قبل بَدْئِهَا ، فَهُزِمَ ، وَقُتِلَ في صفر سنة ١٢١هـ^(١٠٠) ، وبالرغم من أن ما قام به هشام هو ما يمليه عليه مركزه كخليفة تجاه هذه الثورة ، محافظة على وحدة الأمة ، وصونا لدماء المسلمين ، إلا أنه تألم لقتل زيد بن علي ، وَقُتِلَ ابنه يحيى ، وكان يقول : وددت لو كنت افتديتهما^(١٠١) ذكر الذهبي رواية أسندها إلى ابن سعد ، عن الواقدي حدثه بها سحبل بن محمد ، قال : «مارأيت أحدا من الخلفاء أكره إليه الدماء ولا أشد عليه من هشام ، ولقد رأيته دخله من مقتل زيد ابن علي وابنه يحيى أمرٌ شديد ، حتى قال «وددت لو كنت افتديتهما»^(١٠٢) كما أسند الذهبي - رواية أخرى للواقدي ، قال فيها : «فلما ظهر بنو العباس نبش هشاماً عبد الله بن علي وصلبه»^(١٠٣) ، ويقال عن محمد بن عمر الواقدي ، أنه متهم بميوله العلوية^(١٠٤) ، بل

(١٥٩) وقبل سنة ١٢٢هـ ، ويقال أن ما يصل إلى خمسة عشر ألف وثلاثمائة من أهل الكوفة فقط أظهروا تأييدهم لزيد بن علي ، وعندما نشب القتال لم يبق معه سوء مائتا رجل فقط ، راجع الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ١٦٠/٧ - ١٧٣ ، ١٨٠-١٩١ ، وأخبار الدولة العباسية ، ٢٣٠-٢٣٢ .

(١٦٠) ابن كثير : البداية والنهاية . ٣٥٢/٩ .

(١٦١) سير أعلام النبلاء :

(١٦٢) المصدر نفسه ، ٣٥٢/٥ . (١٦٣) الدوري : بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ، ٣١ .

ضَعْفٌ ، ونُسِبَ إليه الوضع في الحديث ، وقيل عنه كَذَابٌ ، وقيل ليس بثقة ، متروك الحديث^(١٦٤) .

نشير بعد ذلك إلى قضية ذكرها ابن عساكر في روايته التي أسندها إلى محمد بن سليمان النوفلي ، وهي دَفَعَ عَبْدُ اللَّهِ بن علي زوجة هشام بن عبد الملك وهي عبدة بنت عبد الله ، الملقب بالأسرار^(١٦٥) ، بن يزيد بن معاوية ، صاحبة الخال ،^(١٦٦) ، إلى جنده الخرسانية ، الذين أذاقوها مختلف أنواع التنكيل ، والتعذيب . ، فمشت حافية حاسرةً ، بل أخذوا يزنون بها ، ثم قتلوها ، وهي رواية لا يوجد ما يؤيدها في المصادر الأخرى ، ولعلها تندرج في سياق الدس والتشويه للعباسيين ، والامتهان لنبي أمية ، مما أشرنا إليه سابقاً فمهما وُصِفَ به عَبْدُ اللَّهِ بن علي ، من بطش ومن قسوة ، فإن الأمر لا يصل حدَّ تعذيب النساء ، وامتهان كرامتهن ، وانتهاك أعراضهن ، لما في ذلك من مخالفة لتعاليم الشرع الحنيف ، ومجافاة لِلْخُلُقِ العربي الذي يحرص على صون الأعراض حتى مع غير المسلمين .

ويبقى من الموضوع سؤال ، هو ، إذا كان صحيحاً ما قيل عن نبش عبد الله ابن علي لقبور بني أمية ، فهل يعني هذا أنَّ ظاهرة نبش القبور للتشفي والانتقام لم تعرف في العصر الأموي ، سؤال يحتاج إجابته إلى تتبع دقيق ، ولكن من خلال ، ماتوفر من مصادر أشير إلى ثلاث حوادث لعلها تُسَهِّم في الإجابة ، الأولى ، ذكرها البلاذري في كتابه أنساب الأشراف قال : « وقالوا أقبلت أمٌ ولدٍ ليزيد بن عبد الله بن زمة ، وكانت بخاريةً ، في غُلْمَةٍ لها^(١٦٧) ، فلما انتهت إلى قبر مسلم^(١٦٨) قالت بالفارسية ، يا مسرف خربت البيوت ، وأحرقت القلوب ، ثم نبشته ، وصلبته على نخلة ، ويُقال على جذع ، ثم أحرقتة ، ويقال إنَّ امرأة من قريش قَتَلَ ابنين لها ، نبشته وأحرقتة ،

(١٦٤) ابن سيد الناس : عيون الاثر، ٢٠/١ .

(١٦٥) ثلاثة من أبناء يزيد اسمهم عبد الله ، عبد الله الأكبر ، وعبد الله الأصغر ويقال له الأسرار ، وعبد الله ، الذي

يقال له أصغر الأصاغر ، راجع (أنساب الأشراف ، ١/٣٥٥-٣٥٦) .

(١٦٦) راجع ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ٤٧٤/٧ ، وصلاح الدين المنجد : معجم بني أمية .

(١٦٧) أي في غُلْمَةٍ ، واضطراب . راجع (لسان العرب ١٥/٣٣٥) .

(١٦٨) هو مسلم بن عقبة المري ، صاحب وقعة الحرة في عهد يزيد بن معاوية سنة (٦٨٢هـ / ٦٨٢م) .

والأول أثبت^(١٧١) . أما الثانية ، فقد ذكرها الذهبي في سير أعلام النبلاء ، في ترجمته لمروان بن محمد ، وقد استقر في سدة الخلافة ، وأُمنَّ الناس «أمر بنبش قبر يزيد الناقص^(١٧٠) ، وَصَلْبُهُ»^(١٧١) ، والثالثة حسب رواية محمد بن حبيب ، أَنَّ يوسف ابن عمر الثقفي نبش في خلافة هشام بن عبد الملك ، قبر نصر بن جذيمة العبسي ، صاحب ميمنة زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، وصلبه أيضا^(١٧٢) .

أحداث نهر أبي فطرس :

مكث عبدُ الله بن علي في دمشق ، بعد أن استولى عليها خمسة عشر يوماً ، توجه بعدها إلى فلسطين ، متعباً أثر مروان بن محمد ، وفي فلسطين تحدثت المصادر التاريخية عن مجازر أخرى ارتكبتها عبدالله بن علي ، وقد اختلفت في ملابساتها ، وتفصيلاتها ؛ فمحمد بن حبيب ذكر ، أَنَّ عبدالله بن علي في خلافة مروان بن محمد ، قتل على نهر أبي فطرس بفلسطين ، وفي مجلس واحدٍ ثمانين رجلاً من بني أمية^(١٧٣) .

كما ذكر صاحب كتاب ، الإمامة والسياسة أَنَّ عبد الله^(١٧٤) بن علي ، عندما قَدِم فلسطين ، بعث إلى بني أمية ، وأظهر للناس ، أَنَّ أمير المؤمنين وصاهُ بهم ، وأمره برَدِّ أموالهم ، وبذل العطاء لهم ، وتسجيل أسمائهم في الديوان ، فَقَدِم عليه ثلاثة وثلاثون رجلاً من صناديد بني أمية ، منهم عبدالواحد بن سليمان بن عبد الملك ، وأبان ابن معاوية بن هشام ، وعبدالرحمن بن معاوية ، إلَّا أَنَّهُ عَدَلَ عن رأيه في القُدوم إلى

(١٦٩) القسم الرابع، الجزء الأول ، ٣٢١-٣٢٢ ، ومن أشار إلى نبش قبر مسلم أيضا محمد بن حبيب في كتابه (المُخَبَّر، ٤٨٢) .

(١٧٠) هو : يزيد بن الوليد بن عبد الملك (١٢٦هـ / ٧٤٣م) وسُمِّي بالناقص لِانْقِصائه أعطيات الجند .

(١٧١) ٧٥/٦ .

(١٧٢) المصدر السابق ، ٤٨٣ .

(١٧٣) المصدر نفسه ، ٤٨٥ . وقد جاء في كلمة الختام للكتاب ، والتي أعدها محمد حيد الله أَنَّ محمد بن حبيب يميل إلى الشيعة ، انظر ص ٥٠٩ .

(١٧٤) يُلقَّب في كتاب الإمامة والسياسة ، بالسُّفاح ، لكثرة ما سفك من دماء .

عبدالله بن علي ، بعد أن نصحه رجل سبق ، وأن صنع معه برّاً ، وأسدى إليه معروفاً ، فهرب إلى الأندلس ، وهو الذي عُرف فيما بعد بعبد الرحمن الداخل ، أما الآخرون ، فقد قدموا على عبدالله بن علي الذي أعد لهم مجلساً فيه أضعافهم من الرجال ، ومعهم السيوف ، وأعمدة الحديد فخرجوا عليهم ، فقتلوهم ، واستصفيت أموالهم^(١٧٥)

أما اليعقوبي ، فيذكر أن عبد الله بن علي ، عندما وصل إلى نهر أبي فطرس ، جمع بني أمية ، وطلب منهم أن يأتوه في الغد ، لأخذ عطايتهم ، وجوائزهم ، فدخلوا عليه من الغد ، وكانوا ثمانين رجلاً ، منهم النعمان بن يزيد بن عبد الملك ، فأقام على رأس كل واحد منهم رجلين بالعمد ، وأطرق قليلاً ، وكان في مجلسه الشاعر العبدي فقام ، وأنشد قصيدة قال فيها :

أما الدّعاءُ الى الجَنانِ فهاشمٍ وبنو أميّة من كلابِ النّارِ
فنهرو النعمان بن يزيد ، وقال : كذبت يا بن اللخناء ، فقال له عبد الله بن علي : بل صدقت يا أبا محمد ، فامض لقولك ، وأقبل على بني أمية ، وذكرهم بقتل الحسين ، وأهل بيته وصَفَقَ بيده ، فضرب جميع من كان في مجلسه من بني أمية ، ونادى رجلٌ منهم من أقصى المجلس منشداً :

عَبْدُ شَمْسٍ أَبوكَ وهو أبونا لا تُنادِيكَ من مكانٍ بعيدٍ
فالقَراباتُ بيننا واشجباتُ مُحكماتُ القُوى بعقدٍ شديدٍ

فَرَدَّ عليه عبد الله بن علي ، قائلاً : هيهات ، قَطَعَ ذلك قتل الحسين ، يقول اليعقوبي : «ثم أمر بهم فُسُحِبوا ، فَطُرِحَتْ عليهم البُسُط ، وجَلَسَ عليهم ، ودعا الطعام ، فأكل ، فقال : يومَ كَيَوْمِ الحسين بن علي ، ولا سواء^(١٧٦) .

البلاذري في أنساب الأشراف ، تعرض لمذبحة نهر أبي فطرس وذكر في رواية لم يسندها لأحد ، أن عبد الله بن علي ، عندما وصل نهى أبي فطرس : «أمر فنودي في بني أمية بالأمان ، فاجتمعوا إليه ، فعجّلت الخراسانية بالعمد فقتلوهم^(١٧٧)» .

(١٧٧) ١٠٤/٣ .

(١٧٦) تاريخه ، ٣٥٥/٢ .

(١٧٥) ١٢٢-١٢١/٢ .

وفي إشارة عابرة ذكر الطبري هذا الخبر ، وقال : ، «وفي هذه السنة^(١٧٨) قتل عبدالله بن علي من قتل بنهر أبي فطرس ، من بني أمية ، وكانوا اثنين وسبعين رجلاً^(١٧٩) .

أما الأزدي ، صاحب كتاب (تاريخ الموصل) فقد أشار إلى عدد الذي اجتمع من بين أمية عند عبدالله بن علي ، وذكر أنهم ثمانون رجلاً ، منهم (الغمر بن يزيد ابن عبد الملك) ، وفي رواية أسندها إلى الهيثم ، أن منهم محمد بن عبد الملك ، ويزيد ابن هشام ، والغمر بن يزيد بن عبد الملك ، وعبدالواحد بن سليمان بن عبد الملك ، وثمانين رجلاً آخرين . من بني أمية ، منهم رجلان ، من بني كلب مُنعاً من الدخول فأبيا فقتلها عبد الله بن علي ، مع من قُتل من بني أمية ، وحسب هذه الرواية ، فإن عدد الذين ذهبوا ضحية هذه المذبحة ، من بني أمية ، أربعة وثمانون رجلاً ، كما ذكر رواية أخرى أسندها الشخص غير الهيثم ، لم يُسمه ، تقول : «فلما أخذوا مجالسهم ، والجند خلف ظهورهم ، قال عبد الله : أَحَسِبْتَ أُمِّيَّةً أَنْ سَتَرَضَى هَاشِمَ عَنْهَا ، وَيَذْهَبَ زَيْدُهَا ، وَحُسَيْنُهَا ، كَلَا ، وَرَبِّ مُحَمَّد ، وَآلِهِ ، لِيَنَالَ كَفُورُهَا ، وَخُشُونَهَا ، ثُمَّ أَخَذَ قَلَنْسُوتَهُ ، فَضَرَبَ بِهَا الْأَرْضَ وَوَضَعَ الْجَنْدَ الْأَعْمَدَةَ ، وَالْكَافِرُكُوبَاتِ^(١٨٠) ، يَشْدُخُونَهُمْ ، وَأَتَوْا عَلَى آخِرِهِمْ ، وَأَمَرَ بِالْغَمْرِ فَضُرِبَتْ عُنُقُهُ ، وَكَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَبْدِ اللَّهِ مَوَدَّةً^(١٨١) .

حدّد المسعودي تاريخ هذه المذبحة ، وذكر إنها وقعت على نهر أبي فطرس ، يوم الأربعاء للنصف من ذي القعدة سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، وكان عدد القتلى من بني أمية بضعا وثمانين رجلاً^(١٨٢) .

أشار ابن عساكر إلى الحادثة في رواية أسندها إلى علي بن محمد بن سليمان النوفلي ،

(١٧٨) أي سنة ١٣٢ هـ .

(١٧٩) تاريخ الرسل والملوك^٣، ٤٤٣/٧ .

(١٨٠) قُطِعَ من الخشب مدهونة باللون الأسود ، كان يتسلح بها الخراسانيون ، راجع (الدينوري : الاخبار الطوال ، ٣٦١) .

(١٨١) ص ١٣٩ .

(١٨٢) مروج الذهب ، ٢٤٦/٣ ، والتنبيه والاشراف ، ٢٨٥ .

عن أبيه ، وذكر فيها ، أن عبدالله بن علي تتبع بني أمية ، من أولاد الخلفاء ، ولم يفلت منهم إلا صبي صغير يرضع ، أو من هرب إلى الأندلس ، فجمعهم ، وكانوا اثنين وتسعين نفساً ، فقتلهم على نهر بالرملة ، ثم جمع الأنطاع ووضعها على الجثث وأكل عليها الطعام ، وهم يتحركون ، من تحت الأنطاع ، واستصفى جميع دورهم ، وضياعهم^(١٨٣) ، وقد اعتمد ابن كثير على رواية ابن عساكر هذه ، عندما تحدث عن مذبحه نهر أبي فطرس ، ويبدو أن تصحيفاً وقع أو خطأ طباعي ، فوضعت كلمة ألفاً ، بدلا من نفساً^(١٨٤) .

لم يغفل ابن الأثير عنه حادثة نهر أبي فطرس ، حيث قال : «وتتبع^(١٨٥) بني أمية من أولاد الخلفاء ، وغيرهم ، فأخذهم ، ولم يفلت منهم إلا رضيع ، أو من هرب إلى الأندلس فقتلهم بنهر أبي فطرس ، وكان فيمن قتل ، محمد بن عبد الملك ابن مروان ، والغمر بن يزيد بن عبد الملك ، وعبدالواحد بن سليمان بن عبد الملك ، وسعيد بن عبد الملك ، وقيل : إنه مات قبل ذلك ، وأبوعبيدة الوليد بن عبد الملك ، وقيل : إن إبراهيم بن يزيد المخلوع ، قُتل معهم ، واستصفى كل شيء لهم ، من مال ، وغير ذلك ، فلما فرغ منهم قال :

بني أمية قد أفنيتُ جمعكم	فكيف لي منكم ، بالأول الماضي
يطيبُ النفس أن النارَ تجتمعكم	عوضتم من لظاها شرَّ معْراض
مُنيتُم لا أقال الله عثرتكم	بليث غاب إلى الأعداء نهْاض
إن كان غيضي لفوت منكم فلقد	مُنيت منكم بما ربي به راض ^(١٨٦)

يقول ابن الأثير : « وقيل : إن سديفاً أنشد هذا الشعر للسفاح ، ومعه كانت الحادثة ، وهو الذي قتلهم^(١٨٧) .

(١٨٣) تاريخ دمشق ، ٣٩٠/١٥ .

(١٨٤) البداية والنهاية ، ٤٥/١٠ .

(١٨٥) أبي عبدالله بن علي .

(١٨٦) الكامل في التاريخ ، ٤٣٠/٥ - ٤٣١ .

(١٨٧) المصدر نفسه : ٤٣١/٥ .

الذهبي ، من المصادر التي وقفنا عليها أيضا ، ذكر في كتابه (تاريخ الإسلام) ، أن عبد الله بن علي قتل على نهر أبي فطرس اثنين وسبعين نفسا صبرا^(١٨٨) .

وهكذا فإنه لاخلاف بين مصادر البحث على أن عبد الله بن علي قام بمذبحة أخرى في بني أمية على نهر أبي فطرس سنة ١٣٢هـ ، وقد حدد المسعودي ذلك بيوم الاربعاء النصف من ذي القعدة ، من تلك السنة ، ويبدو أن اجتماع ذلك العدد ، على اختلاف بين المصادر ، من الأمويين ، عند عبد الله بن علي ، لم يكن مصادفة لولا أن عبد الله بن علي قد أظهر لهم ، ما يُطمعهم بالأمان ، خاصة بعد سلسلة من مظاهر القمع التي قام بها العباسيون ضد بني أمية ، ذهب ضحيتها عدد غير قليل منهم ، كانت كفيلة بإثارة روح اليقظة ، والحذر لديهم ، كما يبدو أيضا أن عبد الله بن علي بذل جهوداً كبيرة في سبيل إقناعهم بالقدوم عليه ، وعَدَّهم ، ومنَّاهم ، وطمأنهم ، مُضْمِراً في نفس الوقت الغدر ، بهم .

ولا خلاف أيضا بين مصادر البحث أن مسرح هذه المذبحة هو نهر أبي فطرس ، قرب الرَّمْلَة بفلسطين ، ماعدا ابن الأثير ، الذي شكَّك في أن يكون مسرحها ، البلاط العباسي ، وبطلها أبا العباس السفاح ، إلا أن ابن الأثير لم يجزم بذلك ، أو لم يكن لديه الدليل الكافي ، وإنما أشار إليها بكلمة (قيل) ، ولكنَّ الخلاف واضح بين المصادر ، في عدد القتلى ، من بني أمية ، فأقل عدد ذُكر هو اثنان وسبعون ، وأكثر عدد هو اثنان وتسعون ، وذكر بين هذين العددين أعداد أخرى هي ثمانون رجلاً واثنان وثمانون . وثلاثة وثمانون ، والفرق بين هذه الأعداد ليس كبيرا ، إذ أن عدد القتلى ، يتراوح ، من اثنين وسبعين رجلاً إلى اثنين وتسعين ، على اختلاف بين المصادر ، وما يُلاحظ أن المصادر التاريخية ، لم تُقدِّم ثَبَتاً دقيقاً بأسماء القتلى من بني أمية ، وإنما ذكرت بعض الأسماء فقط ، وهي قليلة قياساً بعدد الأرقام الواردة ، وفي محاولة لحصر هذه الأسماء نجد أنها لا تتجاوز تسعة أسماء ، وهي إبان بن معاوية بن هشام^(١٨٩) ، وإبراهيم بن يزيد المخلوع ، وأبو عبيدة بن عبد الملك ، وسعيد بن عبد

(١٨٨) حوادث (١٢١-١٤٠) ، ص ٣٤٠ .

(١٨٩) الإمامة والسياسة ، ١٢١/٢ .

الملك^(١٩٠) ، كما ذكر ابن خياط في تاريخه ، أن من القتل ، عبد الله بن عبد الملك^(١٩١) ، ومن القتل أيضا عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك^(١٩٢) ، والعمر بن يزيد بن عبد الملك^(١٩٣) ومحمد بن عبد الملك^(١٩٤) ، والنعمان بن يزيد بن عبد الملك^(١٩٥) ، ويزيد بن هشام بن عبد الملك^(١٩٦) فهل ، هذا العدد القليل ، من الأساء التي ذكرت قياسا بالأرقام التي وردت علامة شك في دقة الأرقام ، والمبالغة ، فيها أم أن هؤلاء هم المشهورون من بني أمية ، والبقية قُصُرَتْ مِم ، قِلَّةُ شُهْرَتِهِمْ ، مسألة غير واضحة ، تحتاج إلى أدلة تبث الاطمئنان لدى الباحث ، للأخذ بإحدى الفرضيتين .

وهناك مسألتان مرتبطتان بهذه الحادثة جديرتان بالنظر ، الأولى هي جمع القتل وربما كان بعضهم في الرمح الأخير وَوَضِعَ الأنطاع عليهم ، وطلب الطعام ، والأكل فوق جثثهم ، وربما ارتفعت الأنطاع ، وانخفضت ، بسبب حركة من كان فيه بقية من حياة ، وهي صورة من صور القسوة المؤلة للنفس ، ولكن هذه الصورة ، ربما خف وقعها إذا وقفنا على المسألة الثانية لا رتباطها بالأولى وهي محاولة تبرير هذا الموقف بالثأر لقتل العلويين ، وخاصة الحسين بن علي ، وزيد بن علي ، وصوغها في قالب شعري مؤثر ، فلم تكن قسوة عبدالله بن علي لتأسيس ملك ، والمحافظة عليه ، ولكنه الانتقام لما قام به بنو أمية ضد العلويين ، من تنكيل ، وهو رأى ينقصه الدليل ، خاصة إذا عرفنا أن المشكلة التي نَقَمَ منها العلويون من بني أمية . لم تُحَلَّ بقيام الدولة العباسية ، بل استمرت وتمخضت عنها إفرازات صعبة وخطيرة ، ألا وهي مشكلة الخلافة ، وأحقية البيت العلوي بها ، وهي محاولة واضحة لقسر الأحداث ، وتوظيفها دعاية للبيت العلوي وَحَطًا من قدر العباسيين ، ويبدو أنَّ

(١٩٠) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٥٣١/٥ .

(١٩١) ص ٤١٠ .

(١٩٢) الإمامة والسياسة ، ١٢١/٢ ، والأزدي : تاريخ الموصل ، ١٣٩ ، وابن الأثير : المصدر السابق ، ٥٣١/٥ .

(١٩٣) ابن خياط : المصدر السابق ، ٤١٠ ، ومحمد بن حبيب : المُخَبَّر ، ٤٨٥ ، والأزدي ، المصدر السابق ، ١٣٩

وإبن الأثير : المصدر السابق ، ٥٣١/٥ .

(١٩٤) الأزدي : المصدر السابق ، ١٣٩ ، وابن الأثير : المصدر السابق ، ٥٣١/٥ .

(١٩٥) اليعقوبي : تاريخه ، ٣٥٥/٢ .

(١٩٦) الأزدي : المصدر السابق ، ٣٩ .

الروايات التي تحدّثت عن المسألة الأولى ، هي نفسها - في الغالب - التي أشارت إلى المسألة الثانية - والمصلحة في كلا الحالتين مهما اختلفت اشكائها واحدة ، حيث تُصَبُّ في النهاية لصالح العلويين ، سواء صورة التشويه ، أو تأويل الحَدَثِ وتفسيره ، وهما مسألتان تدعوان إلى الشك في صحتها ، وفي مقدمة تلك الروايات ، رواية اليعقوبي ، وقد عرفنا من قبل^(١٩٧) ، من هو اليعقوبي ، ومدى تعصبه للعلويين ، وكذلك الرواية التي ذكرها الأزدي ، والتي تناولت موضوع الانتقام لبني هاشم زيدها وحسينها ، ولعل مما يثير الشك في هذه الرواية ذكره لها بدون إسناد ، مقارنة بما قبلها ، حيث أسندها للهيثم ، أما الرواية التي ذكرها ابن عساكر ، فقد أسندها إلى علي بن محمد بن سليمان النوفلي عن أبيه ، وقد وَفَّقْنَا على ميول النوفلي العلوية قبل ذلك^(١٩٨) .

ومما يُلحَظ في حادثة نهر أبي فطرُس ، أن الجند الخراسانية ، هم الذين تولوا كِبَرَهَا ، ونفذوا خَطَّتَهَا ، بتوجيه من عبدالله بن علي ، وهم هنا مثلهم في حادثة دمشق ، وما قبل دمشق ، ومثلهم أيضا فيما يأتي من حوادث ، وخاصة في مرحلة التأسيس من تاريخ الدولة العباسية في عهدي أبي العباس السفاح ، وأبي جعفر المنصور ، فهم العنصر الفاعِلُ ، المؤثِّرُ ، الذي اعتمد عليه العباسيون في هذه المرحلة ، وإذا قلت الخراسانية فهم الخراسانية مَوْطِنًا لا عُنْصُرًا ، فُرْسًا ، وعربًا ، مِمَّن استوطن بلاد خراسان ، وتحمس لقيام الدولة العباسية ، وقاتل من أجلها .

وتبقى قضية أشار إليها البلاذري ، في أنساب الاشراف إشارة عابرة ، قد لا يُلْتَفَت إليها ، ولكنها ذات مدلول هام في هذه الحادثة بالذات ، إذ تفيد هذه الرواية ، أنه في الوقت الذي أخذ فيه عبد الله بن علي يسعى لجمع الأمويين ، عند نهر أبي فطرُس ، بدأت ثورة أبي الورد مجزأة بن الكوثر الكلابي ، وأبي محمد السفيناني في قنسرين ، وعندما علم عبد الله بن علي بذلك ، بادر بقتل جميع من كان عنده من بني أمية^(١٩٩) .

(١٩٧) راجع صفحة ٣٠٦ من البحث .

(١٩٨) راجع صفحة ٣١٠ من البحث .

(١٩٩) ١٧٠/٣ .

وأهمية هذه الرواية ، تأتي في أن قتل الأمويين ، لم يكن نتيجة ثورة عاطفية ، استثارها أبيات من الشعر ذكّرت ببني هاشم ، وقتلهم ، كالحسين بن علي وزيد بن علي بن الحسين ، كما تُردّد ذلك الروايات ، ذات الميول العلوية ، بل كان موقفا اقتضته الظروف والأحداث المحيطة ، ولعل ظهور ثورة قنسرين ، من الأسباب التي عجّلت بقتل الأمويين ، على نهر أبي فطرُس ، وقد كان عبدُ الله بن علي ، يعي مقام به جيدا خاصة ، وأن مذبحة نهر أبي فطرُس ، من الأسباب غير المباشرة التي ساهمت في إضعاف مقاومة الأمويين في قنسرين ، وخاصة أيضا وأن رجل الموقف في كلا الحالين واحد ، وهو عبد الله بن علي .

أحداث الحجاز :

سلسلة مترابطة من الأحداث ، هي مواقف التصفية التي نفّذها العباسيون ضد بني أمية يأخذ بعضها برقاب بعض ، وإن اختلفت في زمانها ، ومسرح عملياتها ، في دمشق ، ثم في فلسطين ، والحجاز بعد ذلك ، وفي الحجاز كان رجل الأحداث شخص آخر ، غير عبد الله بن علي ، ولكنه أيضا من أفراد البيت العباسي ، وهي في هذه المرة داود بن علي ، عمّ أبي العباس السفاح أيضا ، تشير المصادر التاريخية أن داود بن علي قتل مجموعة من بني أمية في الحجاز سنة ١٣٣هـ ، دون تحديد دقيق لعدد القتلى^(٢٠٠) ، ولكنها تختلف في تصوير الحادثة ، وتفسيرها ، بين موجز ، ومفصّل ، وتخفّف لهول الحادثة ، ومُضخّم لها ، ويلمس الباحث دور الميول والتوجهات في وصف الحادثة ، وتفسيرها ؛ فمن المصادر ما ذكر الحادثة عَرَضاً ، ولم يُعرّها من الاهتمام ما يُوازِي الأحداث الأخرى التي عالجها ، وربما كان بعضها أقل أهمية ، مثل الطبري ، الذي أشار إليها في أحداث سنة ١٣٣هـ ، في سطر ونصف السطر ، بأن داود بن علي قتل من كان أخذ من بني أمية في مكة والمدينة^(٢٠١) ، ولم يزد على ذلك

(٢٠٠) الإمامة والسياسة ، ١٣١/٢ ، والبلاذري : أنساب الأشراف ، ٨٨/٣ ، واليعقوبي : تاريخه ، ٣٥١/٢-٣٥٢.

والطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ٤٥٩/٧ ، وابن أعثم : الفتح ، ١٩٣/٨ ، والمسعودي : التنبيه والاشراف ،

٢٨٥ ، والذهبي : تاريخ الإسلام ، حوادث (١٢١-١٤٠) ص ٣٤٤ .

(٢٠١) المصدر السابق ، ٤٥٩/٧ .

شيئا ، وصاحب كتاب الإمامة والسياسة رغم ماأضافه على ماذكره الطبري ، إلا أنه لم يقدم القدر الكافي من المعلومات ، التي تتناسب وحجم الحادثة ، فذكر أن داود ابن علي قتل من ظفر به من بني أمية ، وغيرهم ، عندما قَدِمَ الحجاز ، واليا عليها بل تجاوز الحجاز إلى اليمامة ، حيث قضى على أحد أنصار الامويين ، مع مجموعة من أتباعه ، وهو المثنى بن زياد بن عمر بن هبيرة ، وأشار إلى شخصية من أنصار العباسيين ساهمت في تتبع الأمويين وقتلهم في الطائف ، وهو (محمد بن عمارة)^(٢٠٢) ، ذكر خليفة بن خياط ، أسماء بعض من قتلهم دواود بن علي ، في الحجاز ، من بني أمية ، وهم عمران بن موسى بن عمرو بن سعيد ، ويحيى وإسماعيل ابني أمية بن عمرو بن سعيد ، وعبدالله بن عنبسة بن سعيد بن العاص ، وابنيه محمد وعياض ، وأيوب بن موسى بن عمرو بن سعيد ، وأشار إلى ذلك في أحداث سنة ١٣٢هـ^(٢٠٣) .

أما الأزدي ، الذي ذكر وفاة داود بن علي في غرة شهر ربيع الاول من سنة ١٣٣هـ فقد عَدَّدَ أسماء من قتلهم داود من بني أمية في الحجاز ، وهم عمران بن موسى ابن عمرو بن سعيد ، وأخوه أيوب بن موسى بن عمرو ابن سعيد^(٢٠٤) ، وعبد الله ابن عبدالله بن سعد بن أبي وقاس ، وابنيه محمد ، وعياض ، يقول الأزدي : «وجمع من بقي بالمدينة من بني أمية ليقتلهم ، فقال له عبدالله بن الحسن بن الحسن ابن علي : يا أخي إذا قتلت هؤلاء بمن تباهي ؟ أما يكفيك أن يَرَوْكَ غاديا ورائحا فيما يسرك ، ويسؤوهم فلم يقبل منه ، وقتلهم»^(٢٠٥) واضح أن الأزدي ، نقل هذه الرواية ، من مصدر متعاطف مع العلويين ، ويتضح هذا من إقحامه اسم عبدالله

(٢٠٢) ١٣١/٢ .

(٢٠٣) تاريخه ، ٤١٠ .

(٢٠٤) جدهما عمرو بن سعيد بن العاص ، الملقَّب بالأشدق ، ليل في شِدْقِه وقيل لما اشتهر به من لَسَن ، وهو ما رَجَّحه الجاحظ في كتابه (البيان والتبيين) ١٢٢/١ ، كما يُقال له أيضا لطيم الجن ، ولطيم الشيطان ، أمه أم البنين بنت الحكم بن أبي العاص ، أخت مروان وعمه عبدالله بن مروان ، ولي المدينة ليزيد بن معاوية . راجع (أنساب الأشراف ٤٤١/١ ج ٤) كان أبوه أيوب بن موسى فقيها مُفْتِيًا ، وكذلك أخوه عمر ، وهو ممن وصفهم ابن جِئَان بالثقات ، راجع (سير أعلام النبلاء، ١٣٥/٦) ، (وتهذيب التهذيب، ١٤١/٨) .

(٢٠٥) راجع تاريخ الموصول ، ص ١٤١ .

ابن الحسن ، وكذلك لعنه عبيد الله بن زياد ، وهو والي يزيد بن معاوية على البصرة سنة ٦٠ هـ (٦٧٩م) ، وفي أيامه قتل الحسين بن علي سنة ٦١ هـ / ٦٨٠ م ، وذلك عندما استشهد بقصيدة قالها حفص بن أبي النعمان ، يقول الأزدي : «مولى لعبيد الله ابن زياد لعنه الله»^(٢٠٦) ، وجاء في القصيدة :

وكانت أُمِّيَّةٌ فِي مُلْكِهَا تَجَرُّورٌ وَتَظْهَرُ طَغْيَانَهَا
فَلَمَّا رَأَى اللَّهُ أَنَّ قَدْ طَغَتْ فَلَمْ يُنْظَرْ لِلَّهِ عُذْوَانَهَا
رَمَاهَا بِسَفَاحِ آلِ الرَّسُولِ فَجَزَّ بِكَفَيْهِ أَذْقَانَهَا

البلاذري في أنساب الاشراف ، ترجم لداود بن علي ، وذكر أنه تولى مكة والمدينة لأبي العباس ، وأقطعه قطائع ، وعندما بلغه ، وهو في الحجاز قتل ابن هبيرة ، وقتل مروان ، التقط قوما من بني أمية فقتلهم ببطن مَرَّ^(٢٠٧) ، ووجه أبا حماد ، إبراهيم بن حسان الأبرص ، إلى المثنى بن يزيد بن عمر بن هبيرة ، وهو في اليمامة ، وقتله ، ويقال ، بل بعث به إليه من العراق^(٢٠٨)

وكذلك ذكر الذهبي في كتابه تاريخ الإسلام ، خبر قتل داود بن علي لعدد من بني أمية صَبْرًا في الحجاز ، دون ذكر عددهم ، أو أي تفصيلات أخرى^(٢٠٩) .

وكعاداته فابن أعثم الكوفي ، في كتابه الفتوح ، أظهر الأمر بصورة مبالغ فيها ، متهما أبا العباس السفاح بتحريض عمه عَلَى قَتْلِ بني أمية في الحجاز ، ويذكر أن داود بن علي قتلهم ، وأخذ يبحث عنهم تحت كل حجر ، ومدر ، وقد سمع رجلاً يلبي قائلاً : لبيك اللهم لبيك يامهلك بني أمية ، فدعاه ، وأعطاه ألف دينار^(٢١٠) .

(٢٠٦) المصدر نفسه ، ١٤١ .

(٢٠٧) بطن مَرَّ : من نواحي مكة المكرمة ، عنده يجتمع وادي النخلتين ، فيصيران واديا واحدا ، (ياقوت : معجم البلدان ، ١/ ٤٤٩) .

(٢٠٨) ٨٨/٣ .

(٢٠٩) حوادث (١٢١-١٤٠م) ، ٣٤٤ .

(٢١٠) ١٩٣/٨ ، وراجع أيضا ، ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ، ١٥١/٨ .

وقد ذكر المسعودي أن عدد من قتلهم داود بن علي في الحجاز نحو ، من العدد الذي قتله عبدالله بن علي على نهر أبي فطرس ، أي بضع وثمانون رجلا^(٢١١) .

انفرد اليعقوبي بذكر بعض التفاصيل ، عن أحداث الحجاز ، وذكر أنه عندما قدم داود بن علي إلى مكة المكرمة ، واليا على الحجاز من قبل أبي العباس السفاح ، هرب الوليد بن عروة بن عطية السعدي والي بني أمية على مكة المكرمة ، فقام داود في الناس خطيبا ، فذكر فضل العباسيين ، ووعد الناس بالأمن ، والأمان قائلا : «إنما كانت لنا فيكم تبعات ، وطلبات ، وقد تركنا ذلك كله ، وانتم آمون بأمان الله ، أحمركم ، وأسودكم ، وصغيركم وكبيركم ، وقد عفونا التبعات ، ووهبنا الظلمات ، فلا ورب هذه البنية ، لا نهيج أحدا ، وضرب بيده إلى الكعبة»^(٢١٢) ، وبينما هو في خطبته قام إليه سُديف بن ميمون ، فقال له : أصلح الله الأمير أذني منك ، فأدناه ، وأذن له في الكلام ، فصعد المنبر ، حتى كان دون ، داود بمرقاة ، ثم أقبل على الناس ، وناقض داود بن علي ، حيث هدد ، وتوعد بني أمية واتهمهم بالضلال ، ورفع من شأن العباس بن عبدالمطلب ، ونزل ، فأتم داود خطبته ، وعندما انتهى موسم الحج ، فتك ببني أمية ، فقبض على من عنده في مكة ، فقتل بعضهم ، ووجه بعضهم إلى الطائف فقتلوا ، وحبس آخرين ، فماتوا في حبسه ، وذهب إلى المدينة ففعل ببني أمية ، كما فعل بهم في مكة ، ولم يلبث داود بن علي أن توفي في المدينة ، بعد شهرين من إقامته فيها^(٢١٣) .

ومما يلفت النظر في رواية اليعقوبي ، هو دور سُديف بن ميمون ، في إثارة داود بن علي ضد بني أمية ، مما أدى إلى نكبتهم ، وسُديف هذا هو ابن اسماعيل بن ميمون المكي ، مولى أبي لهب ، كان شديد السواد ، أعرابيا ، بدويا ، شاعرا كثير التحريض على بني أمية ، من أشد المتعصبين للعلويين ، عاش حتى عهد المنصور الذي أمر عمه عبد الصمد بقتله ، بعد أن وصله المنصور بألف دينار دفعها سُديف

(٢١١) التنبيه والاشراف ، ٢٨٥ .

(٢١٢) تاريخه ، ٣٥١/٢ - ٣٥٢ .

(٢١٣) المصدر نفسه ، ٣٥٢/٢ .

إلى محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ، معونة له على ثورته ضد المنصور ، فقتل في مكة سنة ١٤٦هـ / ٧٦٣م^(٢١١) ، وقد قال عنه ابن أعثم في كتابه الفتوح ، أنه مولى للسجاد علي بن الحسين^(٢١٢) ، فهل كان لُسْدَيْف فعلا هذا الدور ، حتى أنه تَجَرَّأ ، وخطب بما يثير النقمة على الأمويين ، بعد أن لمس لِينَا ، ومهادنة ، في خطبة داود بن علي ، أُم أن ذلك ، من المبالغات ، التي ضُخِّم بها دور سُدَيْف بن ميمون ، في الفتك ببني أمية ، وهو علوي الولاء ، والميول ؟ لانملك الأدلة القاطعة في إثبات ، أو نفي هذا الخبر .

وهكذا نستطيع أن نكوّن من مجموعة الروايات السابقة صورة مقبولة إلى حد ما ، عن الدور الذي قام به داود بن علي ، ضد بني أمية ، في الحجاز ، واليامة ، وهو دور لانستطيع إنكاره ، وإن حاولت بعض الروايات ذات المصدر العلوي ، أن تفسر هذه الاحداث ، بما يخدم مصالح العلويين ، وخاصة روايتا اليعقوبي والأزدي .

أحداث البصرة :

لم يكن سليمان بن علي أقل من أخويه ، عبد الله ، وداود ، في نظر بعض المصادر التاريخية ، مساهمة في التنكيل ببني أمية ، والبطش بهم وقد ولي البصرة لأبي العباس سنة ١٣٢هـ ، فقبض على جماعة من الأمويين ، يقول الأصهباني في رواية أسندها إلى أحمد بن عبيد الله بن عَمَّار ، قال : «حدثني علي بن محمد بن سليمان النوفلي ، عن أبيه ، عن عمومته أنهم^(٢١٣) ، حضروا سليمان بن علي بالبصرة ، وقد حضره جماعة من بني أمية عليهم الثياب المَوْشِيَّة ، فكأنني أنظر إلى أحدهم ، وقد اسْوَدَّ شَيْبٌ في عارضيه من الغالية ، فأمر بهم فقتلوا ، وَجُرُّوا بأرجلهم ، فألقوا على الطريق ، وأن عليهم لَسْرًا وِلايات الوُشْيِ ، والكلاب تجرّ بأرجلهم^(٢١٤) .

(٢١٤) أورد ابن عبد ربه ، صاحب العقد الفريد ، بعض أخباره ، ٢٢٨/٥ - ٢٢٩ ، ٣٤٥ - ٣٤٦ ، كما ترجم له ابن منظور في مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ، ٢١٠/٩ - ٢١٣ ، والزركلي في الأعلام ، ١٢٦/٣ .

(٢١٥) ١٩٦/٨ .

(٢١٦) أي عمومتهم .

(٢١٧) الاغاني ، ١٥٦٣/٤ .

يقول ابن الأثير : «عليهم الثياب الموشَّية المرتفعة ، وأمر بهم فجروا بأرجلهم ، فألقوا في الطريق ، وأكلتهم الكلاب»^(٢١٨) ، وهما روايتان لم نجد ما يعضدهما فيما تيسر لنا من المصادر المَعُول عليها خاصة ، ومما يزيد في ضعفها ، تناقضها مع ما اشتهر به سليمان بن علي ، من أخلاق كريمة ، ومكانة رفيعة ، يذكر ابن حَجَر العسقلاني أَنَّ ابن جَبَّان يذكره في الثقات ، وقال يحيى بن سعيد الأموي : «أوصى علي بن عبدالله إلى ابنه سليمان ، وأن في ولد محمد بن علي من هو أسن من سليمان ، وكان سليمان من خيارهم»^(٢١٩) ، ولعل في النص التالي ، الذي ذكره البلاذري ، في أنساب الأشراف ما يوضح هذه الحادثة ويزيل لبسها ، يقول البلاذري : «قالوا»^(٢٢٠) ، وكان سليمان حليماً رقيقاً ، لم يعرض ، لمن كان بالبصرة ، من بني أمية ، فلم يَسْلَمُوا في بلد سلامتهم بالبصرة ، وكتب أبو العباس إلى سليمان بن علي في قبض أموال بني زياد ابن أبي سفيان ، فأرسل إلى مسلمة بن محارب ابن مسلم ابن زياد وغيره ، أن أمير المؤمنين كتب إليّ في قبض كل خضراء ، وبيضاء لكم ، فإني إن كتبت أتيّ لم أجد لكم خضراء ، ولا بيضاء ، لم آمن أن يأتيكم من يقبض ذلك ، فإن أحببتم فحدّوا لي من أموالكم شيئاً ظاهراً ، أقطع به عني قالته وسوء ظنه ، فحدّوا له ثمان مائة جريب»^(٢٢١) أظهرها فقبضها ، ولما صار عبدالله بن علي إلى سليمان رأى رجلاً على بغل ، أو برذون فارّه ، وله سَرَج نظيف ، ولجامه مُحَلَّى ، فقال : من هذا؟ قال له سليمان : هذا سلم بن حرب بن زياد ، فقال : أَوْقَدْ بقي آل من آل زياد مثل هذا؟ فقال سليمان : نعم لم أجد إليهم سبيلاً ، منعني منهم الحق ، قال : أما والله لئن بقيت لهم لأبيد منهم ، فبلغ ذلك سلماً فهرب عن البصرة ، فلم يدخلها ، حتى سُخِّصَ بعبد الله عنها»^(٢٢٢) .

(٢١٨) الكامل في التاريخ ، ٤٣١/٥ .

(٢١٩) تهذيب التهذيب ، ٢١١/٤-٢١٢ .

(٢٢٠) نلاحظ أن البلاذري ، لم يسند النص .

(٢٢١) الجريب : جاء في المصباح المنير ، ١٠٣/١-١٠٤ ، أنه القطعة المتميزة من الأرض ، ويختلف مقداره حسب اصطلاح أهل الأقليم .

(٢٢٢) ٩١/٣ .

ويقول البلاذري : «حدثني عمر بن شُبَّة ، عن محمد بن عبيد بن عمر ، وأخبرني طارق بن المبارك ، عن أبيه ، قال : قال لي عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان : جاءت هذه الدولة ، وأنا حديث السن ، منتشر الأموال ، فكنت لا أكون في قبيلة إلا شهراً أُمري . فلما رأيت ذلك ، عزمت على أن أفدِّي حُرْمي بنفسي ، قال : فأرسل إليَّ أن إلْقني على باب الأمير سليمان بن علي ، فأنتهيت إليه فإذا عليه طيلسان^(٢٢٣) مطبق جديد ، وسراويل وشي مسدولة ، فقلت : ياسبحان الله ماتصنع الحداثة ، أهذا ليس هذا اليوم ؟ فقال : لا ولكنه ليس عندي ثوب إلا وهو أشهر مما ترى . وقال : فأعطيته طيلساني ، وأخذت طيلسانه ، وشمريت سراويله ، إلى ركبتيه ، قال : فدخل على سليمان ، ثم خرج مسروراً ، فقلت له : حدثني بما جرى . فقال : دخلت على أكرم الناس ، وأحلمهم ، وأنبلهم ، فلما وصلت إليه ، ولم يرني قط ، قلت : أصلح الله الأمير لفظتني البلادُ إليك ، ودلّني فضلك عليك ، فإما قبلتني غانماً ، أوردتني سالماً ، قال : ومن أنت ؟ فانتسبت له ، فقال : مرحبا بك ، اقعِد ، فتكلّم أَمِناً ثم أقبل عليّ ، فقال : حاجتك يا ابن أخي ، قلت : إن الحرّم اللاتني أنت أقرب الناس إليهن معنا ، وأنت أولى الناس بهن بُعدنا ، وقد خفن الخوفنا ، ومن خاف خيف عليه ، قال : فبكى ، ثم قال : يا ابن أخي يحقن الله دمك ، ويحفظك في حرمك ، ويوفر عليك مالك ، ولو أمكنني ذلك في جميع أهلِكَ لفعلت ، فكن متوارياً كظاهر ، ولتأتني رقاعك في حوائجك ، وأمورك ، قال : فكنت والله أكتب إليه ، كما يكتب الرجل إلى أبيه ، وعمه ، قال : فلما فرغ من حديثه رددت عليه طيلسانه ، فقال : مهلاً فإن ثيابنا إن فارقتنا لم ترجع إلينا^(٢٢٤) .

أسند البلاذري هذه الرواية إلى عمر بن شُبَّة ، وهو عمر بن شُبَّة ابن عبيدة بن زيد بن رائطة النميري ، أبوزيد بن أبي معاذ البصري النحوي الأخباري ، نزيل بغداد ، ولد في رجب سنة ١٧٣هـ / ٦٩٢م ، وتوفي ، في جمادي

(٢٢٣) طيلسان : الطيلسان ، ضرب من الأكسية أصلها فارسي ، معرب راجع (ابن سيده المخصص ، ٧٨/٤ ، وابن منظور : لسان العرب ، ٤٣١/٧ ، وما كتبه بالتفصيل ، صلاح حسين العبيدي : الملابس العربية الإسلامية في العصر العباسي الثاني ٢٦٩-٢٧٨) .

(٢٢٤) ٩٢/٣-٩٣ ، وراجع أيضاً ، الأصبهاني : الأغاني ، ١٥٦٣/٤-١٥٦٤ .

الآخرة سنة ٢٦٢هـ / ٨٧٥م ، وقد قارب التسعين من عمره ، أثنى عليه ، ووصف بأنه ثقة صادق الحديث ، عالماً بالسير ، وأيام الناس^(٢٢٥) .

هذا ، وقد ذكر بن الأثير قصة عمرو بن معاوية بن عمرو بن سفيان بن عتبة بن أبي سفيان^(٢٢٦) ، مع سليمان بن علي ، بعد ذكره لحادثة قتل بني أمية في البصرة ، كما جاءت في البلاذري ، مع تحوير بسيط^(٢٢٧) ، بل إن ابن الأثير زاد على ما ذكره البلاذري أن سليمان كتب إلى أبي العباس السفاح : «يا أمير المؤمنين إنه قد وفد وإفدة من بني أمية علينا ، وإننا إنما قتلناهم على عقوقهم ، لا على أرحامهم ، فإننا يجمعنا ، وإياهم عبد مناف ، والرحم تبل ولا تقتل ، وترفع ولا توضع ، فإن رأي المؤمنين أن يهبهم لي ، فليفعل ، وإن فعل فليجعل كتاباً عاماً إلى البلدان ، نشكر الله على نعمه عندنا ، وإحسانه إلينا ، فوافق السفاح على ما طلب»^(٢٢٨) .

وربما تبادر إلى الذهن أن هذا الموقف جاء بعد أن كُسرت شوكة الأمويين ، وضعفت مقاومتهم ، حيث أصبح العباسيون في مأمن من ثورتهم ، ولكن إذا عرفنا أن العباسيين كانوا يأخذون أحياناً جانب اللين والمهادنة ، مع الأمويين ، إذا كان فيها ما يحقق الغرض ، وهو عدم إثارة الفتن ، والاستسلام ، والاعتراف بالدولة العباسية ، نستطيع أن نقول أن سليمان بن علي ، لم يخرج في موقفه عن السياسة العامة للدولة العباسية ، وهو بهذا يعبر عن روح متعاطفة مع الأمويين ، خاصة الذين لامطمع لهم في ملك ، أو سلطان ، تلك الروح التي تعكس ما كان عليه من خلق . وعلم ، ودين ، يقول ابن عبد ربه ، في كتابه العقد الفريد ، عن سليمان بن علي : «وكان أشد الناس على بني أمية عبد الله بن علي ، واحنهم عليه سليمان بن علي ، وهو

(٢٢٥) ترجم له ، النديم في الفهرست ، ١٢٥ ، وياقوت الحموي في معجم الأدباء ، ١٦ / ٦٠-٦٢ ، وابن خلكان ، في وفيات الأعيان ، ٤٩١/٣ ، والسذهبي في تذكرة الحفاظ ، ٥١٦/٢-٥١٧ ، وابن حجر في تهذيب التهذيب ، ٤٦٠/٧-٤٦١ .

(٢٢٦) هكذا ورد عند ابن الأثير (ابن عمرو بن سفيان بن عتبة بن أبي سفيان ، بينما ورد عند البلاذري (ابن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان) أنساب الأشراف ، ٩٢/٣ .

(٢٢٧) الكامل في التاريخ ، ٤٣١/٥-٤٣٢ .

(٢٢٨) الكامل في التاريخ ٤٣٢/٥٥ .

الذي كان يسميه أبو مسلم^(٢٢٩) كَنَف الأمان ، وكان يجير كل من استجار به^(٢٣٠) ،
ويذكر ابن عبد ربه أيضا أنه عندما توفي سليمان بن علي^(٢٣١) ، كانت عنده بضع
وثمانون حرمة لبني أمية^(٢٣٢) .

أحداث هاشمية الأنبار^(٢٣٣) :

يبدو أن مطاردة الأمويين ، وصلت إلى البلاط العباسي ، بل إن بطلها هذه المرة
الخليفة أبو العباس السفاح ، وهي حادثة تختلف عن الأحداث السابقة في الشام
والحجاز ، والبصرة ، نظرا لاختلاف الروايات حولها ، وتداخلها ، حتى أنها وصلت
إلى درجة من التعقيد ، يصعب على الباحث الخروج برأي واضح عنها .

خصص ابن أعثم فقرة بعنوان «ذكر أخبار سُديف بن ميمون السَّجاد على بن
الحسين بن أبي طالب رضي الله عنه وأشعاره الملاح بين يدي أمير المؤمنين^(٢٣٤)» ضمنها
رواية مطولة أسندها إلى أبي الحسن علي بن محمد المدائني مباشرة دون ذكر سلسلة
السند خلاصة ما جاء فيها ، هو تجمع أكثر من ثمانين شخصا من فلول بني أمية
الناجين من مذابح الشام ، والحجاز ، في العراق عند أبي العباس السفاح ، على
رأسهم سليمان بن هشام بن عبد الملك ، وولده ، معلنين خضوعهم ، واعترافهم ،
مذكِّرين بقرابتهم فاستدروا عطف الخليفة ، فعفا عنهم ، وقرَّبهم ، فلم يَرُق ذلك
سُديف بن ميمون ، الذي كان في تلك الفترة مع عبدالله بن علي ببلاد الشام ، قال
على نفسه أن يأتي للسفاح ويبيِّحه ، ويبعث أحفاده في أبيات من الشعر يلقيها بين
يديه ، فقدم عليه ، وألقى بين يديه قصيدة مطلعها :

(٢٢٩) لعله أبو مسلم الخراساني .

(٢٣٠) ٢٢٩/٥ .

(٢٣١) كان ذلك لتسع بقين من جمادي الآخر سنة ١٤٢هـ / ٧٥٩م ، راجع (ابن قتيبة : المعارف ٣٧٥ ، والطبري :

تاريخ الرسل والملوك ، ٥١٤/٧) .

(٢٣٢) المصدر السابق ٢٢٩/٥ .

(٢٣٣) أورد اليعقوبي خبر هذه الأحداث ، بعدما تحدث عن انتقال أبو العباس ، من الحيرة إلى الأنبار ، واتخاذها

مدينة سهاها (الهاشمية) وذلك سنة (١٣٤هـ / ٧٥١م) ، راجع تاريخه (٣٥٨/٢) .

(٢٣٤) كتاب الفتوح : ١٩٦/٨ .

ظهر الحق فاستبان مضيًّا إذا رأينا الخليفة المهديًّا
فأدرك أبو العباس ما يعنيه سُديف وقال له : خُلِقَ الإنسانُ عَجولاً ، وتمثل بقول
الشاعر :

أحيا الضغائنَ آباءَ لنا سلفوا فلن تبيد ولآباءَ أبناءَ
وأمر لسُديف ، بجائزة وانصرف ، وبعد شهر ، أو أقل عاد سُديف إلى أبي
العباس ، وأنشد قصيدة أخرى مطلعها :

أَلَا مَنْ لَقِبَ مُسْتَهَامَ مَتِيمٍ تَكَلَّمَ لَا تَبْعَدُ عَنِ النَّاسِ تَكَلُّمٍ
فاستحسن السفاح إنشاده ، وطلب المزيد ، فأنشده قصيدة مطلعها

أمير المؤمنين أولى رجاء بأقوام تبيض وهي داء
وحد السيف للداء الدواء

فدمعت عينا السفاح ، وأمر لسُديف بجائزة ، وانصرف إلى منزله ، فلحق به
بعض العلويين ، من أبناء الحسن ، والحسين ، وطلبوا منه الاستمرار في تهيج
الخليفة ، وتحريضه على قتل بني أمية ، فعاد إلى أبي العباس ، وألقى بين يديه قصيدة
مطلعها :

دار سلمى نهضة الأبيات لست من أسرتي ، ولا من كُنات
فاستحسنها الخليفة واستعادها مرتين ، ثم أمر صالح باعطاء سُديف ألف دينار ،
ونادى في الحاجب ، أغلق الباب ، وهات الكافر كُوبات^(٢٣٥) ، فدخل أعوانه ،
ومعهم الخشب المُسوَّدة ، فصاح فيهم أبو العباس ، أنكوا على أعداء الله ، فإن هذا
يوم ، قد أذن الله في هلاكهم ، فقتلوا جميعهم ، وهم حوالي ثمانين ، أو أكثر ، ولم
يستثن منهم أبو العباس غير سليمان بن هشام عبد الملك وابنيه ، جمعت الجثث
الممزقة ، وأمر بالانطاع ، فألقيت عليها ، وطلبت الموائد ، فأحضرت ، فأكلَ

(٢٣٥) راجع ص ٣٢١ ، هامش (١٨٠) من البحث .

الخليفةُ ، وأكل من معه ، من بني العباس ، وولد أبي طالب ، وكانت الموائد ، ترتفع ، وتنخفض من تحرك الناس ، وتحرك أنفاسهم ، فقال الخليفة لأصحابه : كلوا ، فقد برد الغليل .

صُلب قتل بني أمية في بستان لأبي العباس ، وبقوا مصلوبين ، حتى نتنت جثثهم ، وانتشرت روائحهم مما ضايق جلساء الخليفة ، الذين طلبوا منه إغلاق الباب المؤدي للبستان ، فقال لهم : إن روائحهم لأعجب من رائحة المسك ، كلوا ، واحمدوا الله تعالى .

لم يهنأ لسُدَيْف عيشٌ ، وفي بني أمية بقية تدب فيها الحياة ، فأقبل على أبي العباس يوما ، واستقبله كعادته في كل مرة بالبشر والترحاب ، فأنشد قصيدة مطلعها :

أصبح الملك ثابت الأساس

بالبهاليل من بني العباس

فأجازه بألف دينار ، وأعطاه خيار ثيابه ، ووعده بالنظر فيما قال ، فقال سليمان ابن هشام : يا أمير المؤمنين ، إن مولاك سُدَيْفًا يَسْتَحِثُّكَ على قتلي ، وقتل وَلَدَيَّ هذين ، وقد رأيت قتلت من أهل بيتي ، وبني أبي من قتلت ، وقد بلغني أنك تريد أن تغتالني ، فقال له أبو العباس غاضبا : أما إلى وقتي هذا فإنِّي كنت عزمت أن لا أطلبك ، ولا أطلب بنيك بشيء ، مما كنت أطلب به أهل بيتك ، وقد وقع في قلبك أني أريد أن أغتالك ، فإياهم ما الذي يحول بيني وبينك إن أردت قتلك ، حتى أريد أن أغتالك ، فأمر به وبإبنه فأطيح برؤوسهم^(٢٣٦) .

وهكذا حسب رواية ابن أعثم الكوفي ، ذهب بنو أمية ، وعلى رأسهم سليمان بن هشام ، وإبنه ، بسبب تحريض شاعر ، من موالي آل أبي طالب ، أثار بشعره حقد العباسيين ، وضغائنهم ، يقف وراءه ويشجعه العلويون ، فقتل أبو العباس في تلك المذبحة ، أكثر من ثمانين ، من رجال بني أمية ، بصورة تفوق صور التنكيل السابقة ، التي قام بها عبدالله بن علي ، وقد بلغت تلك القسوة بأبي العباس ، أن

(٢٣٦) الفتح ، ١٩٦/٨ - ٢٠١ .

يأمر بصلب الجثث في بستانه ، لتكون قريبة منه ، يستمتع بالنظر إليها ، ويتنشي من رائحة نتنها .

ابن عبد ربه ، في العقد الفريد ، تحدث عن هذه الحادثة ، في بلاط أبي العباس ، وذكر أن الغمّر بن يزيد بن عبد الملك ، قدم على رأس ثمانين رجلا من بني أمية ، إلى أبي العباس ، الذي استقبلهم بما يليق بهم ، فدخل عليه شيعته ، وكان فيهم سُديف ابن ميمون ، الذي تقدم ، وألقى بين يديه خطبة بليغة ذكّر فيها بقرابة بني العباس ، من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفضلهم ، وجلائل أعمالهم ، وحققهم في خلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم عدد مثالب بني أمية ، وما ارتكبه من أعمال مخالفة لكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعندما دخل شيعته عليه من الغد ، وكان فيهم الشاعر شبيل فأنشد قصيدة جاء فيها :

أصبح الملكُ ثابتَ الأساسِ بالهاليلَ من بني العباسِ
طلبوا وتَرهاشمَ فلقوها بعد مَيْل من الزمانِ وباسِ
لا تَقِيلَنَّ عبدَ شمسٍ عِثارا واقطَعَنَّ كل نخلٍ وغِراسِ

ثم دخل عليه في اليوم الثالث فقام سُديف منشدا قصيدة منها :

قد أتتكَ الوفودُ من عبدِ شمسٍ مستعدّين يُوجِعون المَطِيّا
غفوة أيها الخليفة لا عن طاعةٍ تخوفوا المُشْرِفيّا
لا يَغُرَّنكَ ما ترى من رجالٍ إن تحسّت الضلوع داء دويّا
فضع السيفَ وارفع السوط حتى لا ترى فوق ظهرها أمويّا

ثم قام شاعر آخر ، هو خلف بن خليفة الأقطع ، فألقى قصيدة قال فيها :

إن تجاوزُ فقد قدرتَ عليهم أو تُعاقِب فلم تُعاقِب بَرّيّا
أو تعاتبهم على رقة الدين فَقَدْ كان دينهم سامِريّا

التفت أبو العباس ، إلى الغمّر ، وقال له : كيف ترى هذا الشعر ؟ ، قال : والله إن هذا لشاعر ، ولقد قال شاعرنا ما هو أشعر من هذا ، قال : وما قال ؟ فأنشده :

شمسُ العداوةِ حتى يُسْتَقَادَ لَهُم وأعظم الناس أحلاما إذا قدروا

تَمَرَّ وجه أبي العباس ، وقال له : كذبت يا ابن اللخناء ، إني لأرى الخِيلاء في رأسك بعدُ ، فأمر بضرب أعناقهم ، فَنَفَذَ ما أَمَرَ به ، وَجَرَّوا بأرجلهم ، وعليهم سراويلات الوشي ، وألقوا في صحراء الأنبار ، فأهاج منظرهم شاعرية سُديف ، عندما وقف عليهم ، مع جماعة مع أصابه أنشد :

طَمَعَت أُمِيَّةٌ أَنْ سَيَرُضِي هَاشِمٌ عنها وَيَذْهَبَ زَيْدُهَا وَحُسَيْنُهَا
كَلَّا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ وَإِهْلِهِ حتى يُيَادَ كَفُورُهَا وَخَثُونُهَا^(١٣٧)

الأصبهاني ، صاحب كتاب الأغاني ، أفرد هذه الحادثة في عنوان مستقل (ذكر من قتل أبوالعباس السفاح من بني أمية)^(١٣٨) ضمنه أكثر من رواية عن حادثة البلاط العباسي ، الأولى أسندها إلى عمه ، حَدَّثَهُ محمد بن سعد الكُراني ، حدثه النصر ابن عمرو ، عن المُعِطِي ، وأيضاً إلى محمد بن خلف وكيع ، عن قول أبي السائب سَلَمَ بن جُنَادَةَ السُّوَانِي ، سمع أبا نُعَيْمٍ الفضل بن دُكَيْنَ ، وذكر في هذه الرواية خبر دخول سُديف مولى آل أبي لهب ، عَلَى أبي العباس وحوله بنو أمية ، وإنشاده قصيده جاء فيها :

أصبح الملكُ ثابتَ الأساسِ بالبهايل من بني العباس
بالصدور المُقَدِّمين قديماً والرؤوس القباقيم الرؤاسِ

ووصف فيها ما سببته هذه القصيدة لأبي العباس ، ومن تهيج ورغبة فأدرك بنو أمية أنه سيبطش بهم ، حتى قال أحد ولد سليمان بن هشام لمن كان بجانبه ، قتلنا والله العبد ، ولم يلبث أبوالعباس أن أقبل عليهم يتهددهم ويتوعدهم فأمر بأخذهم فأخذتهم الخراسانية وقتلهم جميعاً ، ما عدا عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، الذي استجار بدادود بن علي فأنقذ حياته^(١٣٩) .

أما الرواية الثانية ، فقد أسندها إلى الحسن بن علي ، قال : حدثني احمد بن سعيد

(١٣٧) ٢٢٩ - ٢٢٧/٥ .

(١٣٨) ١٥٥٧/٤ .

(١٣٩) ١٥٦٠ - ١٥٥٨/٤ .

الدَّمَشَقِي ، قال : حدثنا الزُّبَيْر بن بَكَّار ، عن عمه ، ذكر فيها أن سبب غضب أبي العباس على بني أمية ، هو أن أحد الشعراء مدحه فالتفت إلى أحد بني أمية ، وقال له : أين هذا مما مُدِّحْتُم به ، فقال : هيهات لا يقول والله أحدُ فيكم مثل قول ابن قَيْس الرَّقِيَّات :

ما نَقَمُوا من بني أمِيَّة إلا أنهم يحلمون إن غضبوا
وأنهم معدن الملووك ولا تَصْلَح إلا عليهمُ العربُ

فشتمه ، وقال له : أَوْ إِنَّ الخِلافةَ لفي نفسك بعدُ ، فأمر بهم وقتلوا^(٢٤٠) ، وفي رواية ثالثة ، أسندها إلى عمه ، أخبرني الكُرَائي ، عن النضر بن عمرو ، عن المعيطي ، ذكر فيها جَمْع جثثهم ، ووضع البسط فوقها ، وتناول طعامه عليها وهي تضطرب تحته ، وقال عندما فرغ من طعامه : ما أَعْلَمُنِي أَكلت أكلة قط أهنأ ، ولا أَطيب منها ، وقال : جُرُّوا بأرجلهم ، قال الإصبهاني : «فَالْقُوا في الطريق يلعنهم الناس ، أمواتا ، كما لعنوهم أحياء ، قال (أَيُّ الْمُعِيطِي) فرأيت الكلاب تجر بأرجلهم ، وعليهم سراويلات الوشي ، حتى أنتنوا ، ثم حَفَرْتُ لهم بئر فآلَقُوا فيها^(٢٤١) .

ورواية رابعة أسندها إلى الحسن بن علي ، ومحمد بن يحيى ، قالوا : حدثنا الحارث ابن أبي أسامة ، قال : حدثني إسماعيل بن إبراهيم ، عن الهيثم بن بشر ، مولى محمد ابن علي ، قال : أنشد سُديف ، أبا العباس ، وعنده رجال من بني أمية يقول :

يا بن عمِّ النبي أنت ضياء استبنا بك اليقينَ الجليَّا
وعندما بلغ قوله :

جَرَّدَ السيفَ وارفع العفو حتى لا ترى فوق ظهرها أمويا
فقال العباس : يا سُديف خلق الإنسان من عجل ، فقال :
أحيا الضغائن آباء لنا سلفوا فلن تبید ولآباء أبناء

(٢٤٠) الأغاني، ٤/ ١٥٦٠ .

(٢٤١) الأغاني، ٤/ ١٥٦٠-١٥٦١ .

ثم أمر بمن عنده منهم فقتلوا^(٢٤٢) .
وسرد الأصبهاني بعد ذلك عدة أبيات لسُدَيْف ، في تحريض أبي العباس ، على قتل بني أمية .

ابن الطقطقي ذكر أن عدد الذين قتلهم أبو العباس السفاح في مجلسه سبعون رجلا من بني أمية ، بسبب قصيدة ألقاها أحد الشعراء^(٢٤٣) ، جاء في مطلعها :
أصبح الملك ثابت الأساس بالبهاليل من بني العباس
ثم جلس على جثثهم ، وأكل الطعام ، وهو يسمع أنين بعضهم ، حتى ماتوا^(٢٤٤) .

تبقى قضية سليمان بن هشام بن عبد الملك ، وابنيه ، هل قتلوا مع من قتل من بني أمية ، في مجلس أبي العباس السفاح ، أم أن قصتهم مع أبي العباس لاعلاقة لها بتلك الحادثة ؟ ، اختلفت المصادر في ذلك ، فمنها ما يربط قتلهم ، بقتل بني أمية ، بل يذكر أنهم كانوا في مقدمتهم ، حتى أنهم عندما ألقى سُدَيْف قصائده أمام أبي العباس ، قال أحد أبناء سليمان لمن يليه في المجلس : قتلنا العبد^(٢٤٥) .

ومنها ما يذكر أن قتلهم كان بعد تلك الحادثة ، وأيضا بتحريض من سُدَيْف ابن ميمون وقد كان أبو العباس ، لا يُضْمِر لهم الشر ، ولكنهم عندما استرابوا منه ، وصارحوه في ذلك ، غضب عليهم ، وأمر بهم ، فقتلوا^(٢٤٦) ، ومن المصادر ما يشير إلى حادثة سليمان بن هشام بعيدا عن حادثة بقية بني أمية في بلاط أبي العباس ، ولكنه يربطها بتحريض سُدَيْف بن ميمون^(٢٤٧) ، وأضاف بعضهم أن أبا مسلم الخراساني ،

(٢٤٢) المصدر نفسه ، ١٥٦٢/٤ - ١٥٦٣ .

(٢٤٣) لم يسمه ، ولكنه أشار إلى أنه شخص آخر غير سُدَيْف بن ميمون .

(٢٤٤) الفخري في الآداب السلطانية ، والدول الإسلامية ، ١٥١ - ١٥٢ .

(٢٤٥) الأصبهاني : الأغاني ، ١٥٦٥ - ١٥٦٠/٤ .

(٢٤٦) ابن أعمش : الفتح ، ٢٠٠/٨ - ٢٠١ .

(٢٤٧) الإمامة والسياسة ، ١٢٣/٢ ، والبلاذري : أنساب الأشراف ، ١٦١/٣ - ١٦٣ ، واليعقوبي : تاريخه ،

٣٦٠ - ٣٥٩/٢ ، وابن الطقطقي : الفخري في الآداب السلطانية ، ١٥١ وابن الإثير : الكامل في التاريخ ،

٤٢٩/٥ - ٤٣٠ .

لعب دورا بارزا في قتل سليمان ، وابنيه^(٢٤٨) ، فألح على أبي العباس في قتلهم ، وكان يقول له : «إذا كان عدوك ، ووليك عندك سواء ، فمتى يرجوك المطيع لك ، المائل إليك ، ومتى يخافك المتجانف عنك»^(٢٤٩) .

يورد صاحب كتاب الإمامة والسياسة تفصيلات أكثر من غيره ، عن سليمان ابن هشام ، ويذكر أن سبب تقرب أبي العباس له ، موقفه العدائي من مروان ابن محمد ، قبل إعلان الدعوة العباسية ، وعندما قامت الدولة العباسية ، أصبح من أتباعها ، والمؤيدين لها ، حيث انضم بحيشه المكون من أربعة آلاف ، والذي كان يقاتل به مروان بن محمد إلى أبي مسلم الخراساني ، الذي فرح به ، وكلفه إلى جانب قحطبة بن شبيب الطائي بتتبع مروان بن محمد ، بل ذهب إلى أبعد من ذلك ، وذكر أن سليمان بن هشام ، كان ضمن القواد ، الذين طاردوا مروان في مصر ، وكان هو الذي تتبع المنهزمين ، وقتك بهم ، وأسر من أسر ، فهنة أبوعون ، أبرز القواد العباسيين ، الذين كلفوا بمطاردة مروان في جيش صالح بن علي ، قائلا : «الحمد لله الذي شفى صدرك قبل الموت من مروان ، فهل لك يا أبا أيوب أن تذهب إلى أمير المؤمنين بكتابي ، وبما هيا الله على يديك ، وشفا به صدرك ، فيفعل بك خيرا»^(٢٥٠) ، فقدم على أبي العباس ، ونال حظوة كبيرة ، فأنزله بعض دوره ، في الكوفة ، حتى كان لأبي العباس ، كأحد وزرائه ، وكان مكانه في المجلس عن يسار الخليفة ، بينما يجلس أبو جعفر المنصور عن يمين الخليفة^(٢٥١) . وقد أشار الأصبهاني إلى هذه العلاقة بقوله : «كان سليمان بن هشام صديقه قديما ، وحديثا ، يقضي حوائجه في أيامهم ، ويبرّه»^(٢٥٢) .

وكذلك البلاذري ذكر أيضا أن ما بين سليمان ، ومروان بن محمد ، كان سبب في تقريبه لأبي العباس ، الذي أمر بأن لا يعرض له^(٢٥٣) .

(٢٤٨) كما ذكر ذلك البلاذري : المصدر السابق ، ١٦٣/٣ .

(٢٤٩) البلاذري : أنساب الاشراف ، ١٦٣/٣ .

(٢٥٠) ١٢٠-١١٩/٢ .

(٢٥١) المصدر نفسه ، ١٢٠/٢ .

(٢٥٢) أنساب الاشراف ، ١٦١/٣ .

(٢٥٣) الأغاني ، ١٥٦٥/٤ .

نقف قليلا لتأمل ما استعرضناه ، في الصفحات السابقة ، ونلاحظ ، أن هناك تشابها بين حادثة ، هاشمية الأنبار ، وحوادث نهر أبي فطُرس ، والحجاز ، والبصرة ، وهو تشابه لا نعني به طرفي الحادثة : العباسيون ، والأمويون ، وإنما ظروف الأحداث ، وملابساتها ، وما ظهر من دوافع محرّكة لها ، وشخصها وسير أحداثها ، ونهاياتها ، يصل ذلك التشابه أحيانا إلى درجة الرّية والشك ، في بعض الروايات التاريخية ، لما فيها من تداخل ، واضطراب ؛ فكما توافد بنو أمية ، على عبد الله بن علي عند نهر أبي فطُرس في أعداد ، بلغت ما بين سبعين إلى تسعين رجلا ، فيهم صناديدُهم ، كذلك تقاطروا على أبي العباس في هاشمية الأنبار بنفس الأعداد تقريبا ثمانين ، أو سبعين رجلا ، وهم - أعني بني أمية - في كلا الحالين مُعلنين ولأئهم ، وخضوعهم ، طالبين تأمين أنفسهم ، وأهلهم ، وأموالهم ، والعباسيون ، في كلا الحالين ، متظاهرين بالرضا والقبول ، ومضمّرين الشر ، والانتقام ، لم يرقبوا فيهم إلا ، ولا ذمّة ، ولم يراعوا عهوداً ، أو موثيقا كانوا في منتهى الفضاضة والقسوة ، شذخوا رؤس بني أمية بالكافر كويات ، وجمعوهم ، ومدوا أسمطتهم على جثثهم ، وأكلوا هائنين ، متلذذين طعامهم ، وربما ارتفعت الأسمطة ، وانخفضت بالارتفاع الأنفاس ، وحركة الأجسام ، وفي هاشمية الأنبار أيضا تكرر ما حدث في البصرة خاصة ، حيث أمر بجرّ أرجل بني أمية ، وعليهم سراويلات الوشي ، فأُلقيت الجثثُ في الشوارع ، أو صحراء الأنبار ، تنهشهم الكلاب ، ويلعنهم المارة في مماتهم ، كما لعنهم في حياتهم .

في كل المشاهد ، أبي فطُرس ، الحجاز ، هاشمية الأنبار ، البصرة ذهبوا ضحية الثأر لآل البيت . الحسين بن علي ، وزيد بن علي بن الحسين ، الشعر في كل المشاهد هو المشعل الذي أوقد نار الحقد ، والضغائن ، وسُدَيْف بن ميمون هو الفارس المغوار في كثير من المشاهد ، بما ينشده من قصائد ، وأبلىقيه من خطب ، تنفجر حقدا وغضباً على بني أمية ، فيهيح عبدالله بن علي ، ويهيح دواد بن علي ، ثم يهيح الخليفة أبو العباس السفاح ، ويصبح الانتقام قاسيا مدمرا .

هل كل هذا من قبيل الصدفة ، أم تداخلت الأحداث ، فلم تفرق الروايات بين

حادثة نهر أبي فطرس ، وحادثة هاشمية الأنبار على وجه الخصوص ، لكثرة ما بينهما من تشابه ، أم أن حادثة هاشمية الأنبار لاعلاقة لها بالقتل الجماعي لبني أمية ، بل خاصة بسليمان بن هشام بن عبد الملك ، وابنه أو ابنه^(٢٥٤) ، أستطيع القول ، أن هناك بعض المؤشرات التي توحى بهذا التفسير ، وهي :

إغفال بعض المصادر المَعَوَّل عليها في التاريخ الإسلامي لموضوع قتل ذلك العدد من بني أمية ، في مجلس أبي العباس السفاح ، وأهمها خليفة بن خياط ، في تاريخه ، ومحمد بن جرير الطبري في تاريخ الرسل والملوك ، وابن كثير في البداية والنهاية .

يُلاحظ أن بعض المصادر التي تحدثت عن حادثة الأمويين في مجلس أبي العباس في هاشمية الأنبار ، كانت متعاطفة مع العلويين ، وفي مقدمتها ، اليعقوبي في تاريخه ، وابن أعثم الكوفي في كتاب الفتوح ، وابن الطقطقي في كتاب الفخري في الآداب السلطانية ، والدول الإسلامية ، وقد تحدثنا في صفحات سابقة عن أثر التشيع في كتابات هؤلاء ، ونضيف هنا ، أن ابن عبد ربه ، صاحب كتاب العقد الفريد ، ترجم له الفرضي في كتابه تاريخ علماء الأندلس ، وذكر أنه أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حدير بن سالم مولى هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك ، صاحب الأندلس ، . من أهل قرطبة ، يُكنّى أبا عمر ، شاعر ، وأديب ، أندلسي ، توفي بالفالج يوم الأحد لثنتي ليلة بقيت من جمادي الأولى سنة ٣٢٨هـ (٩٣٩م) ، وعمره إحدى وثمانون سنة ، وثمانية أشهر ، وثمانية أيام^(٢٥٥) ، يقول عنه ابن كثير ، بعد أن أثنى على علمه وفضله : «ويدل كثير من كلامه على تشيع فيه ، وميل إلى الخط على بني أمية ، وهذا عجيب منه ، لأنه أحد مواليتهم ، وكان الأولى به أن يكون ممن يواليهم ، لا ممن يعاديتهم»^(٢٥٦) ، ومثله أيضا أبو الفرج الأصبهاني ، وهو على بن الحسين بن محمد بن الهيثم بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الله . صاحب كتاب الأغاني ، . ذكر ابن الجوزي ، وفاته في أحداث سنة ٣٥٦هـ / ٩٦٦هـ) ، وقال عنه : «وكان يتشيع ، ومثله لايوثق بروايته ، يصرّح في كتبه بما

(٢٥٤) حسب اختلاف الروايات .

(٢٥٥) ٣٨ .

(٢٥٦) البداية والنهاية ، ١٩٣/١١ - ١٩٤ .

يوجب عليه الفسق، وتهوّن شرب الخمر، وربما حكى ذلك عن نفسه، ومن تأمل كتابه الأغاني رأى كل قبيح ومنكر^(٢٥٧)، كما ترجم له الذهبي، في سير أعلام النبلاء، وقال: «والعجب أنه أموي شيعي، خلط قبل موته، وكان وسخاً زرياً يتقون هجاءه»^(٢٥٨). كما قال عنه ابن كثير: «وكان فيه تشيع»^(٢٥٩)، كان كاتباً لركن الدولة ابن بويه «ولعل من أسباب تلك الخطوة، اتفاقهما في التشيع، فقد كان ركن الدولة يتعهد العلويين بالأموال الكثيرة. والمنح الجزيلة»^(٢٦٠).

تناقض الروايات التي أشارت إلى تلك الحوادث؛ مثلاً في قضية سليمان بن هشام بن عبد الملك، أحياناً تذكر أنه قُتل مع بني أمية في مجلس أبي العباس وأحياناً تذكر أنه قُتل بعد ذلك. وأيضاً الغمر بن يزيد بن عبد الملك، مرة تذكر أنه كان على رأس بني أمية، الذين قدموا على عبدالله بن علي، عند نهر أبي فطرس، ومرة تذكره، وقد تزعم بني أمية، واتجه إلى أبي العباس في هاشمية الأنبار.

عندما تحدثت بعض المصادر، مثل كتاب الفتوح لابن أعثم، عن حادثة هاشمية الأنبار وصفت سير الأحداث، وكأنها هي التي وقعت في نهر أبي فطرس.

الشعراء هم الذين أشعلوا نار الفتيل في نهر أبي فطرس، وهم الذين أشعلوه في هاشمية الأنبار، تتكرر الوجوه، ويتكرر الشعر، وربما نسبت القصيدة الواحدة لأكثر من شاعر، وسُدَيْف بن ميمون هو رجل الموقف في كلا الحادثتين.

هذا وفي الوقت الذي نشير فيه إلى مبالغة بعض المصادر التاريخية في دور الشعر، ودور سُدَيْف بن ميمون، بما حل ببني أمية من نكبات، لا يعني هذا إنكارنا بأن سُدَيْف بن ميمون، بما كان عليه من مكانة لدى أبي العباس السفاح، ثم مع أخيه أبي جعفر المنصور، وما أوتي من شعر، ومن بلاغة، وما كان عليه من ميل إلى العلويين، قد ساهم في التشكيل ببني أمية، وأن شعره ربما أثار حماس العباسيين، وهيج نفوسهم، وهم العرب المتذوقون للشعر المتأثرون به.

(٢٥٧) المتظم في تاريخ الملوك والأمم، ٤٠/٧-٤١.

(٢٥٨) ٢٠٢/١٦.

(٢٥٩) المصدر السابق، ٢٦٣/١١. (٢٦٠) راجع مقدمة كتاب مقاتل الطالبين، للسيد أحمد صقر، ص/ب.

يبدو أن قتل سليمان بن هشام بن عبد الملك ، مع ابنه على يد أبي العباس ، قد أوجد ذلك اللبس لدى بعض المصادر التاريخية ، وربما كانت فرصة للبعض أن يضحك تلك الحادثة ، ويتهكم فيها أبا العباس ، بأنه قام بمذبحة ضد بني أمية . مثل مذبحة نهر أبي فطرُس ، في ملابساتها ، وفي عدد قتلاها ، وفي أحداثها ، فجاءت كأنها حادثة نهر أبي فطرُس ، وقد كان سليمان بن هشام يلقب بأبي الغَمَر ، وربما التبس على البعض فتوهم أنه هو الغَمَر ، وهو الذي قُتل مع من قُتل من الأمويين في حادثة نهر أبي فطرُس ، فشكك في قتله في تلك الحادثة ، وذكر أنه قدم على أبي العباس السفاح ، على رأس ثمانين رجلا من بني أمية ، بل إن ظروف مقتل سليمان بن هشام وابنيه كانت موضع خلاف بين المصادر التاريخية .

وقبل معالجة هذا الموضوع ، نتعرف على سليمان بن هشام ، والأسباب التي قربته من العباسيين ، وعندما نتتبع روايات الطبري نجدها تذكر عنه أنه كان قائدا عسكريا بارزا في الدولة الأموية ، وخاصة في عهد والده هشام بن عبد الملك ، فقد قام بغزو الروم ، أكثر من مرة في سنة ١١٧هـ (٧٣٥م) ، سنة ١١٨هـ (٧٣٦م) ، سنة ١٢٠هـ (٧٣٧م) ، سنة ١٢٤هـ / ٧٤١م^(٢٦١) ، فاكسب خبرةً عسكريةً ، ومهارةً قياديةً ، وعندما تولى الخلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك (١٢٥-١٢٦هـ / ٧٤٢-٧٤٣م) ، تنازع أفراد البيت الأموي على السلطة ، وكثر الخلاف بينهم ، وكان سليمان بن هشام من المخالفين للوليد بن يزيد ، الذي ضربه مائة سوط ، وحلق رأسه ولحيته ، ونفاه إلى عمان ، وحبسه بها ، وبقي محبوسا حتى قُتل الوليد سنة ١٢٦هـ^(٢٦٢) ، فخرج من سجنه ، وأقبل إلى دمشق ، كما يقول الطبري : «وهو يلعن الوليد ويعيبه»^(٢٦٣) ، والتحق بيزيد بن الوليد بن عبد الملك (١٢٦هـ / ٧٤٣م) فأكرمه وقربه منه ، وتزوج بأخته ، أم هشام ، ورد عليه ما كان الوليد أخذه منه^(٢٦٤) ، وولاه بعض حروبه ، حارب مروان بن محمد ، ولكن مروان هزمه بمكان يُقال له عين

(٢٦١) تاريخ الرسل والملوك، ١٠٩، ١٠٩، ١٣٩ .

(٢٦٢) ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، ١٩١/١٠ .

(٢٦٣) المصدر السابق، ٢٦٢/٧ .

(٢٦٤) المصدر نفسه، ٢٦٣/٧ .

الجرّ^{(٢٦٥)(٢٦٦)} ، واضطره للهرب إلى تدمر ، ثم أظهر استسلامه ، ومبايعته له بالخلافة ، ولم يلبث أن خلع مبايعته ، فاجتمع معه نحو سبعين ألف مقاتل ، مما أطمعه في الخلافة ، إلا أن مروان بن محمد بعث إليه جيشاً هزمه^(٢٦٧) ، فتحصن في مدينة حمص ، ثم هرب منها بعد أن هُزم من قبل جند مروان ، ولحق بزعيم الخوارج الضحّاك بن قيس ، الذي كان يناصب مروان بن محمد العداء^(٢٦٨) .

تعود صلة سليمان بن هشام بالعباسيين إلى سنة (١٢٩هـ / ٧٤٦) ، عندما تغلّب ، عبدالله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب على إقليم فارس ، يقول الطبري : «فأتاه الناس ، بنوهاشم ، وغيرهم ، وجبى المال ، وبعث العمال ، وكان معه منصور بن جمهور ، وسليمان بن هشام بن الملك ، وشيبان بن الحِلس بن عبد العزيز الشيباني الخارجي ، وأتاه أبو جعفر عبدالله ، وعبدالله وعيسى أبناء علي^(٢٦٩)» ، ربما توثقت العلاقة بينه وبين العباسيين في تلك الفترة ، وعندما آلت الخلافة إليهم ، قربوه للاستفادة من خبرته ، وتوظيفه عاملَ ضغط ، وتهديد ضد مروان بن محمد ، ولا يُستبعد أن يكون قد حارب إلى جانب العباسيين ضد مروان بن محمد ، كما يبدو أنه قد بقى على علاقة طيبة بأبي العباس ، حتى قدم سُديف بن ميمون ، وأخذ يُحرّضه ضد بني أمية ، إضافة إلى ما كان يقوم به بعض القواد ، أمثال أبي مسلم الخراساني من تحريض على قتله ، وإدراكه أن الأمور مع العباسيين ، لاتدوم على صفائها ، خاصة بعد استقرار سلطتهم ، وهو القائد الخبير ، الذي حنكته التجارب ، فاستراب في الأمر ، ولكن هل كان أبو العباس على تلك الصفة من الغدر ، بحيث يبطش به ، وهو في مجلسه ، وهو الذي يوصف بالكرم ، والحلم ، والجود ، وصلة رحمه^(٢٧٠) ، ثم هل بلغ سليمان بن هشام من السذاجة حد

(٢٦٥) عن الجرّ : يقول ياقوت : «موضع معروف بالباقع بين بَغْلَبَك ، ودمشق» ، معجم البلدان ، ١٧٧/٤ .

(٢٦٦) ابن منظور : المصدر السابق ، ١٩١/١٠ .

(٢٦٧) الطبري : المصدر السابق ، ٣٣٤-٣٢٥/٧ .

(٢٦٨) تاريخ الرسل والملوك ، ٣٢٣/٧ ، ٣٢٤-٣٢٥ .

(٢٦٩) تاريخ الرسل والملوك ، ٣٧٢/٧ ، وابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٣٧١/٥ .

(٢٧٠) اليعقوبي : تاريخه . ، ٣٦١/٢ .

الاستسلام للموت مع ابنه ، وقد علم بما يدور حوله ، ويحاك ضده ؟ لعل ما أشار إليه صاحب كتاب الإمامة^(٢٧١) والسياسة من خروج سليمان بن هشام ، ومقاومته وهزيمته لبعوث أبي العباس ، ما يتفق مع طبيعة هذا القائد ، وما عُرف به من حذر ، وقوة ، وطموح .

توفي الخليفة أبو العباس السفاح في الأنبار ، بمرض الجدري ، يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي الحجة ١٣٦هـ (٧٥٣م) ، بعد أن استمر في الخلافة أربع سنوات وتسعة أشهر^(٢٧٢) ، استطاع خلالها بمعاونة أفراد البيت العباسي ، وعلى رأسهم عمه عبدالله بن علي أن يقضي على أمل وطموح الأمويين ، في استعادة دولتهم ، فحافظ على دولته وسلمها لأخيه أبي جعفر (١٣٦-١٥٨هـ / ٧٥٣-٧٧٤م) وقد أمنت جانب البيت الأموي ، على الأقل ، إلا ما كان منه في الطرف القصي في بلاد الاندلس ، وقد كان للإجراء ، الذي اتبعته الدولة العباسية في عهد أبي العباس ، وما عُرف به أبو جعفر المنصور من قوة وصلابة وحكمة ، ما حسم الموقف مع بني أمية ، فلم يظهر منهم ما يمكن اعتباره تهديدا لاستقرار العباسيين سوى المحاولة التي ظهرت في دمشق ، أثر وفاة أبي العباس مباشرة بزعامه (عثمان بن عبد الأعلى بن سراقه الأزدي) ، عامل عبدالله بن علي ، على دمشق ، الذي بايع (هاشم ابن يزيد بن خالد بن يزيد بن معاوية) ، ولكن هذه المحاولة فشلت ، حيث هرب الزعيمان ، عندما علما بقدوم صالح بن علي لاختاد ثورتها .

وبعد :

هكذا وقفت بنا هذه الدراسة على جانب هام في تاريخ تلك الفترة ، التي عاش فيها العباسيون أزمة المقاومة الأموية . كانت المقاومة عنيفة ، غير يائسة ، فجاءت المواجهة في عنف المقاومة ، بل ربما تفوقت عليها في بعض المراحل .

(٢٧١) ١٢٣/٢ - ١٢٤ .

(٢٧٢) خليفة بن خياط: تاريخه، ٤١٢، والبلاذري: أنساب الأشراف، ١٧٩/٣، وابن كثير: البداية والنهاية،

٦٠/١٠ .

المهادنة والمودعة ، أسلوب لجأ له العباسيون ، خاصة عندما تضعف المقاومة وترفع راية الاستسلام، والاعتراف، وهكذا ، فإن عنف المواجهة كان بعنف المقاومة .

نجاح الخطة العباسية عندما اختارت لكل مرحلة ما يناسبها، ففي بلاد الفرس (خراسان) كان قائد المرحلة زعيم فارسي، هو أبو مسلم الخراساني . وفي العراق كان القائد زعيم عربي، هو قحطبة بن شبيب الطائي ، وفي بلاد الشام، مقر الحكم الأموي، حيث مرحلة الحُسم، بعد إعلان قيام الدولة العباسية، كان القادة كبار رجال البيت العباسي عبد الله بن علي، وصالح بن علي .

أثبت مروان بن محمد أنه رجل حرب متمرس على الكرّ، والفرّ أرهق العباسيين ، لولا كثرة الفتوق ، وتغلب الأحداث .

وفي المقابل كان عبد الله بن علي، عم الخليفة أبي العباس، هو رجل الموقف، فكان الشخصية القوية المؤهلة لقيادة مرحلة حاسمة، مثل تلك المرحلة .

استمرت المقاومة الأموية، بعد هزيمة مروان بن محمد، ثم قتله في قرية (بوصير)، على يد بعض القواد المخلصين لبني أمية، فكانت الثورات التي اشتعلت في أماكن متفرقة من بلاد الشام، والجزيرة، والموصل، وقنّشرين، ولولا أن وقف العباسيون لها بالمرصاد، لحققت نتائج مؤثرة على النصر العباسي، الذي بدأ نضج ثماره .

أمسك العباسيون بزمام الأمر، بعد مرحلة عنيفة، من الأحداث، لجأوا فيها إلى كسر العظم مع بني أمية - في بعض المراحل - فانهارت المقاومة، فتسَيّد بنو العباس، وكانت دولتهم، من أطول الدولة الإسلامية عمرا، امتد مايربوا على خمسة قرون .

ومن جانب آخر :

اضطربت الروايات حول أحداث تلك الفترة ، وتحكّمت فيها الميول ، والانتفاءات ، ففسّرت ، ووَجَّهت الأحداث - بما يُبَعِّدها عن الواقع ، وكان للعواطف العلوية القَدَحُ المُعَلَّى تشويها لصورة العباسيين وازدراء بصورة بني أمية ،

وكانت الصعوبة في تتبع تلك الروايات ، والكشف عما فيها من تحامل وتشويه ، وتداخل أملته انتهاءات ، وعواطف مذهبية .

لم يكن العباسيون على تلك الصورة الموحشة ، التي تجعلهم يعمدون إلى نبش القبور وتجميع رفات الأمويين وحرقة وذريه مع الريح ، فهي صورة مبالغ فيها . ولم يبلغ العباسيون من القسوة ما يجعلهم يجمعون جثث قتلاهم من بني أمية يمدون عليها الأسمطة ، ويجلسون عليها يأكلون طعامهم متلذذين ، وهي تضطرب تحتهم ارتفاعاً ، وانخفاضاً ، فهي صورة من صور المبالغة أيضاً .

ولم يكن أبو العباس ذلك السّفاح المتعطش للدماء ، الذي تُزهق في مجلسه أكثر من ثمانين نفساً بسبب نزوة عنف أثارتها قصيدة حاقد موتور من بني أمية . ربما أسرف عبدالله بن علي في تتبع بني أمية ، لما في طبعه من قسوة وعنف ، ولاعتقاده ، بأن الموقف بحاجة إلى ذلك الأسلوب من التعامل ، إلا أنه زُجرُ وأُنب من الخليفة أبي العباس عندما تجاوز الحد .

ثبت المصادر والمراجع

- ابن الأثير : عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد ابن عبد الكريم
ابن عبد الواحد الشيباني . ت ٦٣٠هـ .
(١٢٣٢م) .
الكامل في التاريخ .
بيروت : دار صادر ، ودار بيروت (١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م) .
الازدي : أبوزكريا يزيد بن إلياس بن القاسم ت ٣٣٤هـ (٩٤٥هـ)
تاريخ الموصل
القاهرة ، (١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م)
الأصبهاني : علي بن الحسين بن محمد القرشي . ت ٣٥٦هـ (٩٦٦م)
كتاب الأغاني (الجزء الرابع)
تحقيق ، إبراهيم الأبياري
القاهرة ، دار الشعب (١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م) .
مقاتل الطالبين .
تحقيق ، السيد أحمد صقر .
بيروت ، دار المعرفة ب . ت .
ابن أعثم : أبو محمد أحمد ، ت نحو ٣١٤هـ (٩٢٦م) .
كتاب الفتوح (الجزء الثامن)
ط ١ ، الهند ، حيدرآباد الدكن ، دائرة المعارف العثمانية .
(١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م) .
الأندلسي : أحمد بن محمد بن عبد ربه ، ت ٣٢٨هـ (٩٣٩م)
العقد الفريد (الجزء الخامس)

- تحقيق ، د/ عبد المجيد الترحيبي .
 ط ٣ : بيروت ، دار الكتب العلمية ، (١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م) .
- البكري : عبد الله بن عبد العزيز ، ت ٤٨٧ هـ (١٠٩٤م) .
 معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع :
 تحقيق مصطفى السقا .
 ط ٣ : بيروت ، عالم الكتب ، (١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) .
- البلاذري : أحمد بن يحيى ، ت ٢٧٩ هـ (٨٩٣م) .
 أنساب الأشراف .
 (ج-٣) تحقيق . د/ عبد العزيز الدوري .
 بيروت (١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م) .
 (القسم ٤ ، الجزء ١) .
 تحقيق د/ إحسان عباس بيروت (١٤٠٠هـ / ١٩٧٩م) .
- الجاحظ : أبو عثمان عمر بن بحر ت ٢٥٥ هـ (٨٦٨م) .
 البيان والتبيين .
 تحقيق ، دكتور عبد السلام محمد هارون .
 ط ٤ ، القاهرة ، مكتبة الخانجي .
- الجعفري : ياسين إبراهيم علي . يعقوب المؤرخ والجغرافي .
 بغداد ، دار الرشيد (١٩٨٠م) .
- ابن الجوزي : أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي ، ت ٥٩٧ هـ (١٢٠٠م)
 المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (ج-٧) .
 ط ١ : الهند ، حيدر آباد الدكن ، دائرة المعارف العثمانية
 (١٣٥٨م) .
- ابن حبيب : أبو جعفر محمد ، ت ٢٤٥ هـ (١٠٥٣م) .
 كتاب المحبر .
 اعتناء د/ ايلز ليختن شتير .

- بيروت ، المكتب التجاري ، ب . ت .
- الحموي : شهاب الدين ياقوت ، ت ٦٢٦هـ (١٢٢٨م) .
معجم البلدان .
- بيروت دار صادر (١٣٧٦هـ / ١٩٥٧م) .
- معجم الأدباء بيروت : دار إحياء التراث العربي . ب . ت .
- ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد ت ٨٠٨هـ (١٤٠٥م) .
تاريخه (العبر ، وديوان المبتدأ والخبر ، في أيام العرب والعجم والبربر .
ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر) .
ب . م ، (١٣٩١هـ / ١٩٧١م) .
- ابن خلكان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ،
ت ٦٨١هـ (١٢٨٢م) .
وفيات الأعيان ، وأنباء أبناء الزمان .
تحقيق ، د/إحسان عباس .
بيروت : دار الثقافة . ب . ت .
- ابن خياط : أبو عمر خليفة بن خياط بن أبي هيرة خليفة ، ت ٢٤٠
على الأرجح (٨٥٤م) .
تاريخه .
تحقيق ، د/ أكرم ضياء العمري .
ط ٢ ، بيروت : دار القلم ، ودار الرسالة ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م .
- الدوري : عبد العزيز (الدكتور) .
بحث في نشأة على التاريخ عند العرب .
بيروت : المطبعة الكاثوليكية ، ب . ت .
- الدينوري : أبو حنيفة أحمد بن داود ، ت ٢٨٢هـ (٨٩٥م) .
الأخبار الطوال .
تحقيق : عبد المنعم عامر .

- ط ١ ، القاهرة : ١٩٦٠ م .
- الذهبي : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ، ت ٧٤٨ هـ .
(١٣٤٨ م) .
تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام .
حوادث (١٢١-١٤٠) .
تحقيق ، د/ عمر عبدالسلام تدمري .
ط ١ ، بيروت : دار الكتاب العربي ، (١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م) .
كتاب تذكرة الحفاظ بيروت : دار احياء التراث العربي ، ب . ت .
سير أعلام النبلاء .
ج ٥ ، بتحقيق شعيب الأرنؤوط .
ج ٦ ، بتحقيق حسين الأسد .
ج ٧ ، بتحقيق علي أبو زيد .
ط ١ ، بيروت : مؤسسة الرسالة (١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م) .
- الزركلي : خير الدين .
الأعلام .
ط ٣ ، ب . م ، ب . ت . .
- الزهري : محمد بن سعد بن منيع البصري ، ت ٢٣٠ هـ (٨٤٤ م) .
الطبقات الكبرى (ج ٧) .
بيروت : دار إحياء صادر ، ب . ت .
- السمعاني : أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي ، ت ٥٦٢ هـ .
(١١٦٦ م) .
الأنساب ، (ج ١٢) .
ط ١ ، الهند : حيدر آباد ، دائرة المعارف العثمانية ، ١٤٠١ هـ .
(١٩٨١ م) .
- ابن سيده : أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي

- ت ٤٥٨هـ (١٠٦٥م) المخصص .
 ب . م : دار الفكر ، ب . ت .
 ابن سيد الناس : فتح الدين ، أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله ،
 ت ٧٣٤هـ (١٣٣٣م) عيون الأثر في فنون المغازي ، الشئثل ،
 والسير ط ٢ ، بيروت : دار الجيل ، (١٩٧٤م) .
 الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير ، ت ٣١٠هـ (٩٢٢م) .
 تاريخ الرسل والملوك .
 تحقيق ، محمد أبو الفضل إبراهيم .
 ط ٣ ، القاهرة : دار المعارف (ج٧) .
 ابن الطقطقي : محمد بن علي بن طباطبا ، ت ٧٠٩هـ (١٣٠٩م)
 الفخري في الآداب السلطانية ، والدول الإسلامية .
 بيروت : دار صادر ، (١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م) .
 العبيدي : صلاح حسين .
 الملابس العربية الإسلامية في العصر العباسي الثاني من المصادر
 التاريخية والأثرية . العراق : دار الرشيد ، (١٩٨٠م) .
 ابن العديم : المولى صاحب ، كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد
 بن هبة الله ، ت ٦٦٠هـ (١٢٦١م) .
 زبدة الحلب من تاريخ حلب .
 تحقيق ، د/ سامي الدهان .
 دمشق: المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، (١٣٧٠هـ / ١٩٥١م) .
 ابن عساكر : الحافظ ، أبو القاسم علي بن الحسن ، ت ٥٧١هـ . (١١٧٥م)
 تاريخ دمشق .
 صورة من نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق ، كُمل نقصها ، من النسخ
 الاخرى ، بالقاهرة ، ومراكش ، واستانبول .
 نشر ، مكتبة الدار بالمدينة المنورة ، (١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م) .

- المسقلاني : شهاب الدين ، أبو الفضل ، أحمد بن علي بن حجر ، ت ٨٥٢هـ (١٤٤٨م)
تهذيب التهذيب (ج ٨) .
ط ١ ، الهند : حيدر آباد الدكن ، مطبعة مجلس دائرة المعارف
النظامية (١٣٢٦هـ) .
- ابن الفَرَضِي : أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي الحافظ ، ت ٤٠٣هـ
(١٠١٢م) .
تاريخ علماء الاندلس .
القاهرة : الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦م .
- فهد : بدري محمد .
شيخ الإخباريين ، أبو الحسن المدائني .
النجف : مطبعة القضاء ب . ت .
- الفيومي : أحمد بن محمد بن علي المقرئ ، ت ٧٧٠هـ (١٣٦٨م) .
المصباح المنير ، في غريب الشرح الكبير للرافعي .
القاهرة : مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ب . ت .
- ابن قتيبة : أبو محمد عبد الله بن مسلم ، ت ٢٧٦هـ (٨٨٩م) .
المعارف .
تحقيق ، د/ ثروت عكاشة .
ط ٢ ، مصر ، دار المعارف .
الأمامة والسياسة (تاريخ الخلفاء) (منسوبا) .
القاهرة : (١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م) .
- القرظيني : زكريا بن محمد بن محمود ، ت ٦٨٢هـ (١٢٨٣م) .
آثار البلاد ، وأخبار العباد .
بيروت : دار صادر ، ب . ت .
- ابن كثير : إسماعيل بن عمر ، ت ٧٧٤هـ (١٣٧٢م) .
البداية والنهاية (ج ١٠) .

ط ٢ ، بيروت : مكتبة المعارف (١٩٧٤م) .

كحالة :

عمر رضا .

معجم المؤلفين .

بيروت : مكتبة المثنى ، ودار إحياء التراث العربي .

مجهول المؤلف :

من القرن الثالث الهجري .

أخبار الدولة العباسية (وفيه أخبار العباس وولده) .

تحقيق ، د/ عبد العزيز الدوري ، ود/ عبد الجبار المطليبي .

بيروت : دار الطليعة ، (١٩٧١م) .

المسعودي :

أبو الحسن علي بن الحسين ، ت ٣٤٥هـ (٩٥٦م) .

التنبيه والإشراف .

طبعة معادة بالأوفست ، بغداد : مكتبة المثنى (١٣٥٧هـ / ١٩٣٨م) .

مروج الذهب ومعادن الجوهر (ج ٣) .

بيروت : دار الاندلس ، ب . ت .

المشهداني :

محمد جاسم حمادي (الدكتور) .

موارد البلاذري ، عن الأسرة الأموية ، في أنساب الأشراف .

مكة المكرمة : مكتبة الطالب الجامعي ، (١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م) .

المعجم الوسيط :

ط ٢ ، القاهرة : دار المعارف (١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م) .

المقدسي :

المطهر بن طاهر ، ت ٣٥٥هـ (٩٦٥م) .

كتاب البدء والتاريخ .

طبعة صادرة بالأوفست ، بغداد : مكتبة المثنى ، ب . ت .

المنجد :

صلاح الدين (الدكتور) .

معجم بني أمية .

ط ١ ، بيروت : دار الكتاب الجديد ، (١٩٧٠م) .

ابن منظور :

محمد بن مكرم ، ت ٧١١هـ (١٣١١م) .

- مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر (ج ٩) .
تحقيق ، نسيب نساوي .
ط ١ ، دمشق : دار الفكر ، (١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م) .
لسان العرب .
طبعة مصورة عن طبعة بولاق .
- النديم :
أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب . ت ٣٨٠هـ (١٩٩٠م) .
كتاب الفهرست .
تحقيق ، رضا تجدد .
- الهمداني :
الحسن بن أحمد بن يعقوب ، ت ٣٣٤هـ (٩٤٦م) .
صفة جزيرة العرب .
تحقيق ، محمد بن علي الأكوع الحوالي .
القاهرة : نهضة مصر ، (١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م) .
- هيوار :
Ci. HUBRT .
ابن الطقطقي .
بحث منشور في دائرة المعارف الإسلامية .
- اليقوي :
أحمد بن أبي يعقوب ، إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح ،
ت في حدود ٢٩٢هـ (٩٠٥م) .
تاريخه .
بيروت : دار بيروت للطباعة والنشر ، (١٩٠)هـ (١٩٧٠م) .